الرقم التسلسلي :.....

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة – الدكتور مولاي الطاهر

كلية الآدب واللغات والفنون

قسم : الأدب العربي

مذكرة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي

التخصص: نقد عربي قديم

الموسومة بـ:

الحداثة الشعرية في الشعر العربي المعاصر
أدونيس نموذجا

من إعداد الطالبة:

– دهيني أسماء

إشراف الأستاذ:

–تامي مجاهد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د.زحاف جيلالي	جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة	رئيسا
د.تامي مجاهد	جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة	مشرفا مقررا
د.كريم بن سعيد	جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة	ممتـــــحنا

السنة الجامعية:1444/1443هـ– 2022/2021م

شكر وتقدير

في البداية أشكر الله عز وجل الذي وهبنا نعمة العلم، ويسر لي إنهاء هذا البحث

والشكر موصول أيضا إلى المشرف "تامي مجاهد" الذي ساعدني بآرائه وتوجيهاته

القيمة في كل خطوات هذا العمل المتواضع وكل من أسهم في هذا الانجاز من قريب أو

من بعيد.

الإهداء

إلى من قال فيهم ربنا تعالى " وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " .

إلى من كان و مزال سندي وسام عزتي و كبريائي ، الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح ، إلى من أحمل اسمه بكل فخر . . . أبي العزيز .

إلى من كان دعائها سر نجاحي و بوجودها عرفت معنى الحياة إلى رمز الحب و نبع الحنان . . . ، أمي الحبيبة .

إلى أروع من جسد الحب بكل معانيه ، فكان السند و العطاء قدم لي الكثير في صور من الصبر و أمل و محبة لن أقول شكرا ، بل سأعيش الشكر معك دائما . زوجي "رويسات حمزة " .

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني و لا تزال من إخوة و أخوات و خاصة أختي الصغيرة اية فاطمة الزهراء و نور الهدى ، و حفصة ، حميدة ، عبد السلام ، زكرياء ، لقمان ، حفظهم الله .

إلى روح جدتي " شريط جمعة " و أمي الثانية " زكري نيهة " رحمهم الله .

إلى أبي الثاني "رويسات اسماعيل " أطال الله في عمره .

إلى رفيقة دربي شعلان حفيظة ، و أيضا عميري فاطمة الزهراء ، و كل من عائلة دهيني و رويسات و زكري .

مقدمة

مقدمة :

الحداثة الشــعرية تجربة شــائكة مترامية الأطراف ضــمن اطر وســياقات ثقافية و اجتماعية ، و سياسية و اقتصادية مختلفة أي ليست في مفهومها العام نظرية جاهزة يمكن الحكم عليها أو الإمساك بها ، كما أن الطبيعة البشرية تأبى الاستقرار، الثبات ، و تسعى دائما وراء التجديد و التغيير ، ولعل مفهوم الحداثة لا يخرج على هذا الإطار .

كما اخذ مفهوم الحداثة La Modemité حيزا كبيرا في الفكر الحديث و المعاصـــر لمختلف مناحيه و اتجاهاته ، كما يعد من أهم المصـــطلحات التي أثارت الكثير من الجدل ليس في النقد الأدبي فحسب ، و إنما في الفكر العربي عموما ، ذلك لكونه لا يزال غامضا في أذهان الكثير من المهتمين به ، فهو مصطلح شمل كل مجالات الحياة فكرا أو عقيدة ، و ثقافة و أدبا و سيرة و قيما .

إن الحداثة حركة تعمل على تغيير حســاســية وخلق جديد في تذوق الشــعر ، و في التعامل مع النصوص الإبداعية في بداية ظهورها دائما تتقابل في الرفض و القطعية ، فالانكفاء على الذات ومقاومة التجديد ميزة و ليســت عيبا ، بل هو ســنة كونية تختبر فيها قدرة الأمم على مقاومة الغريب الوافد ، لان كل إثارة ردت فعل ، و بعدما تتحقق الأمة من جدية الجديد تبدأ فيه احتضانه ثم تمنحه الشرعية ، ليصبح بعد ذالك جزءا من التراث و امتداد له ، و قد كان أدونيس أحد أقطاب الحركة الحداثية في الشـــعر المعاصر ، لذلك وقع اختيار فعالية بالذات.

يعد أدونيس قمة من قمم الشعر العربي المعاصر ، شغل النقاد بتساؤلاته و تحولاته فهو شاعر طاول في قامته شــعراء الأمة في تاريخها الطويل ، بكل ما قال و ما ابتدع ، رمز ســاهم في إنقاذ الكلمة العربية من موات في اللفظ و الصور ، مرجعية لشعراء الحداثة إذ لا مرجعية لهم إلا أدونيس .

يسعى هذا البحث الكشف عن إشكالية الحداثة و خلفياتها الفكرية و المعرفية و كان موضوع البحث و أهميته هو "الحداثة الشعرية في الشعر العربي المعاصر " ، أدونيس نموذج طبعة كما يتضح من العنوان أن هذا البحث يحتوي على دراسة تحليلية نقدية عن الأعمال الأدبية الشاعر السوري "علي أحمد سعيد " المعروف باسمه المستعار أدونيس على ضوء هذا تراءت لنا جملة من التساؤلات تمت صياغتها على النحو التالي :

1 . ماهية الحداثة ؟

2 . ماهية رؤية أدونيس للحداثة ؟

3 . ما هي أسباب الجدال حول الحداثة ؟

4 . ما هو موقف أدونيس من النقد و النقاد ؟

5 . فيما تكمن ملاحظات و توجهات أدونيس النقدية ؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات ، و بعد مطالعة واسعة شملت مؤلفات أدونيس قسم البحث إلى مدخل و ثلاثة فصول ، جاء المدخل موسوما ب"الرؤية الغربية ، الرؤية العربية للحداثة " ، و تناول أهم مفاهيم الحداثة في الفكر الغربي و في الأدب العربي و الجدل الذي آثاره ، و خصص الفصل الأول"ماهية الحداثة "تناولنا فيه المصطلح و المفهوم و أيضا نشأتها و مبادئها و مستوياتها و روادها ، أما الفصل الثاني "المفاهيم النقدية للحداثة لدى أدونيس " تناولنا فيه مفاهيم الحداثة عند أدونيس و أيضا ماهية الشعر عند أدونيس و أوهام الحداثة ، و بالنسبة للفصل الثالث جاء كدراسة تحليلية لأهم أعمال أدونيس "تطرقنا فيه إلى نبذة عن حياة أدونيس و أيضا توجهاته و موقفه و ملاحظته النقدية و أيضا تحليل قصيدة "رؤيا "نموذجا.

إن طبيعة البحث هي التي حددت نمطية سيره ، فالبحث يحاول فهم الحداثة الشعرية عند أدونيس و كيفية توظيفها في الشعر العربي المعاصر ، و أهمية حضورها فيه فمنهج البحث جاء تحليليا وصفيا تاريخيا لأهم ما جاء في إشكالية الحداثة .

أما مكتبة البحث التي انطلقنا منها في فهم الحداثة الشعرية في العربي المعاصر عند أدونيس ، كانت المصادر الخاصة بالشاعر أدونيس و من أهمها :زمن الشاعر ، فاتحت لنهايات القرن ، الثابت والمتحول ، النص القرآني و أفاق الكتابة ، الصوفية و السريالية .

في نهاية البحث الذي كان خاتمة هذا البحث جاء فيه أهم النتائج التي توصلنا إليها.

و أيضا أدرجنا ملحقا خاصا بالبحث ، و قد واجهتنا صعوبات كثيرة أبرزها : صعوبة الإحاطة بكل جوانب الحداثة الشعرية عند" أدونيس " ، بالإضافة إلى قلة المراجع التي تناولت الحداثة في الفكر النقدي عند "أدونيس ".

و أخيرا نعجز عن إيفاء الأستاذ المشرف "تامي مجاهد " حقه من الشكر و التقدير و الثناء هو الذي أمدني بملاحظاته و إرشاداته القيمة ، فجازاه الله خيرا.

المدخل

الرؤية الغربية والرؤية العربية للحداثة

المدخل : الرؤية الغربية والرؤية العربية للحداثة

I). الحداثة الغربية

1-إشكالية المفهوم :

لقد أصبحت الحداثة غير كافة مراحل تطورها متحولة بحسب واقع المتغيرات المستجدة فإذا هي تستوي في مستويات مختلفة وإذ هي تشمل ، أو تحاول أن تشمل كل مجالات الحياة بما فيها الممارسات المتصرفة إلى الحياة اليومية ، ثم بما فيها من طرائق التفكير و طبائع الرؤية إلى مظاهر الجمال إرسالا و استقبالا .

إذا ، فليست الحداثة حافظة وثائق تعيد محك التجربة الماضية أو تفسرها بقدر ما هي انكفاء على قول الشيء في تماثله باختراق المعهود ذلك بأن " إعادة القراءة في ضوء العصر تختلف جذريا عن قراءة العصر في ضوء الفقه المعطل و الجامد [1]" فكأن الحداثة إجراء يجتهد في أن يخترق حدود الأحكام الجاهزة المصنفة ، و يصرف عنايته إلى رؤى المعرفة و إرادة القوى الفاعلة في خلق المبادرة ، وربما كان فكر الحداثة قائما على هذه المزاوجة في استمرارية تجاوز العتبة ، بل أن الحداثة تحاول أن تظل أمينة لما كان يتطلع إليه التراث بعيدا عن وثيقته المرجعية التي ظلت تصور الأشياء كما هي ، لا كما ينبغي أن تكون ، و إذا فالحداثة لا تلغي الماضي بقدر ما تحاول أن تحتمل هذا الماضي .... فتستوعيه ، بعد أن تقوضه ثم تبني عليه فكرا مشبعا ببعض عناصر الفكر الذي كان ، و ببعض عناصر الفكر الذي هو كائن لتستشرق منها ما يكون.....

[1] – عبد الله ونوس : بين الحداثة و التحديثية في قضايا و شهادات (عدد خاص بالحداثة) مؤسسة عيبال، الدار البيضاء سنة 1999 ع1 ص80

و قد يعني هذا أن الحداثة بما هي حتمية تاريخية و بما هي ضرورية حضارية أيضا لم تنبثق من عدم و إنما كانت لها إرهاصات مهدت لهذا الانبثاق و تتمثل هذه الإرهاصات أساسا في "الصراع الدائري" الذي ظل محتد ما بين القديم و المحدث بالإضـــافة الى أن حركتي الفكر و الفن ضـــلتا تتحفزان نحو التحرر من القيم العتيقة و الاجتهاد في ابتكار قيم جديدة تنهض على هذه القيم العتيقة لكن دون أن تكونها ، و مع ذلك فلا شيء يقيني في الحداثة حتى المعنى نفسه يظل مهزوزا و ملتبسا و غامضا و هذا ما يدعونا الى الاطلاع على دلالة المصطلح لغويا و إجرائيا قبل الوصول الى موقع ممارسة النظر النقدي الشامل لها.

لعل أول إجراء دقيق يحاول به الباحث أن يدخل في عمق مصـــطلح الحداثة هو العودة الى الجذور التأسيسية لهذا المصطلح من أجل هذا كان علينا أن نبدأ بتحديد معنى الحداثة كما ورد في الدلالة العجمية ، و بخاصـــة العربية على الرغم من أننا نعترف أن الغوص في دلالة المصـــطلح اللغوي لا يزيد الأمر الا تعقيدا لما في ذلك من شـــمولية تحتوي في داخلها على عدة تقابلات لمختلف الأبعاد المعرفية وهو ما قد يجرنا الى تعارض إجرائي مع الينبوع الأصـــلي الذي يشـــكل فعل الرؤية المعرفية للحداثة التي تتعاطى الحدث الإبداعي بطريقة تجعله أصيلا و متفردا. و إذا ما استطعنا إدراك هذه الغاية تيسر لنا أن نحدد طبيعة هذا المصطلح في مقاصده اللغوية بحسب تعريفات المعاجم العربية التي تتفق على أن لفظ " الحداثة " قائم بالأســـاس على التقابل مع القدامة ، أو كما جاء في كتاب العين على أن " الحديث هو الجديد من الأشـــياء"[1] و ما يترتب عن نقيض القدامة للحداثة على اعتبار أن الحداثة : " كون الشـــيء لم

[1] – الخليل ابن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق د.مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي ، ج

يكن ، و محدثات الأمور : ابتدعه أهل الأهواء من الأشـياء التي كان السـلف الصـالح على غيرها"[1] ليصبح كائنا ما لم يكن فيحدث الشيء و يستحدثه على حد ما جاء في قول الطرماح[2].

2-فكرة مشروع الحداثة:

إن حضـور الحداثي في حياتنا لم يكن لحظة صـخب أو عبث مجاني بل كان لحظة كشـف ، كشف المتناقض، و الخفي و المنسي و اللامفكر فيه عبر التساؤل الذي طرحه – مثلا Henrikfebre حين تعرض للطرح الإشـكالي لمفهوم الحداثة الذي سـيخضـع لموجة التفخيم الذاتي التي ترافق الحداثوية "Modernisme" و الميول الحديثة و ذلك بطرحه السـؤال التالي: ما الذي كان يبدو حديثا أو كان حديثا بالفعل في هذه الفترة أو تلك[3]". و إذا كان أي وعي لا يخلو من الجمع بين الليل الحديث و الفكر الحداثوي الفلسـفي فإن الوعي الحداثي الفني يبدو مشـروعا تمهيديا للمعايشـة الجمالية لفعل الفكر، و هو الأكثر تجسـيدا لهذا المعنى بحيث يتلاقى المجرد مع الحسـي، و ينصـهر الآني في الأبدي و لا يتجلى لنا من ملامح الحداثة إلا ما نوهم أنفسـنا بأنه منها و بالمقابل "فإن فكر الحداثة لا ينبت خارج غيرها"[4] ذلك أنها نوبة من نوبات التصـدي لمعتقد النمذجة الراسـخ دون الرغبة في أن تكون البديل الأزلي لطقوسـيته و لعل هذا ما يكسـب الفكر الحداثي بعد ما كان روائيا لكونه نافذة الاسـتشـراق ما يحدث دون أن يسـقطه في الراهن أو يتمثله من حيث هو انتماء، "و لذا فإن الحداثة تتميز بهذا الجهد العابث من اجل التبين والتماسـك أكثر من كونها بنية منشـأة أو قادرة على اكتسـاب تماسـكها الخاص من خلال نزعة قابلة

[1] – مادة "حدث" وزارة الإعلام بغداد 1981

[2] – ابن منظور : لسان العرب (حدث)

[3] – ينظر : ما الحداثة ،تر :كاظم جهاد ، دار ابن رشد 1983 ص14-10

[4] – مفاع صفدي :عصر الحداثة البعدية ، مقال في مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع66 /197 سنة1989 ص04

للمعاينة."[1]، لكنها في الوقت ذاته قابلة لاتساع مجالها الدلالي و الرقوي على اعتبار أنها فضاء للكشف والتساؤل.

3- تداخل المصطلح:

تقع الحداثة في حدود من الالتباس و الغموض، لا من حيث أهمية التسمية أو طبيعة المصطلح و مغزاه فحسب بل من حيث كونها ما تزال في صدام و تعارض مع كثير من المصطلحات المتداولة (كالتحديث و ما قبل الحداثة و الحداثوية و الحداثية) و غيرها." و تغير المصطلح من مرحلة إلى أخرى يؤكد استمرارية تدفق معطيات الحداثة و قوة زخمها (...) لأنها لا تتوجه نحو مطلق ذي غاية كالرومانسية، بل تتوجه نحو مطلق لا يتضمن غاية أو نهاية واضحة"[2]. و التفرقة بين الحداثة و الحداثية أو الحداثوية (المعاصرة) نعرض رأي الناقد الانجليزي ستيفن سبندر الذي أضفى على مفهوم الحداثة قيما دلالية أعمق في سياق التمييز بين كل ما هو حداثي و بين كل ما هو معاصر فوصل المعاصرين بما أسماه " الأنا الفولترية voltaireon" تلك التي تنطوي على الأنا الأساسية لمفهوم الكاتب المصلح. و صل ستيفن سبندر ما هو حداثي بما أسماه "الأنا الحديثة modern" تلك التي تعيش العصر الصناعي دون أن تذعن الى محتواه و تمارس اختيارها فيه معاناة تتمرد بها على هذا العصر على نحو يجعل من إبداعها نتائج عمليات لا واعية و ممارسة لحس نقدي في الوقت نفسه[3]. و من ثم يدرك بأن الحداثة رؤية كونية لا تنحسر في أبعاد محددة بل تتجاوزها الى كينونة الرفض و الاختلاف.

---

[1] – هنري لوغيغر :ما الحداثة ص66 .

[2] – ينظر :عبد الله أحمد المهنا: الحداثة و يعني العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة ،علم الفكر/م19/ع 3./1988 ، ص2

[3] – ينظر جابر عصفور : معنى الحداثة في الشعر المعاصر ،فصول م6 ،ع6 سنة 1986 ،ص38

و قد يقودنا هذا الطرح الى أسباب انحصار الحداثة و تراجعها. فبالإضافة إلى كونها محددة ومنهجية، فإنها أيضا حركة مضادات ظهرت في القهر الرأسمالي شعر خلاله الفنان بالاستلاب و النفي، الأمر الذي جعل من الحداثة الغربية أنها لم تحاول أن تستكشف "القوانين الموضوعية للعالم الخارجي وتتعرف الى العوامل الحقيقية التي تمسخ حرية الفنان داخل المجتمع، و إنما اكتفت بتقديم تصور مثالي –ذاتي– بالمعنى الفلسفي لهذا الواقع[1] في حين أن الحداثة في جوهرها لا تقدم نفسها على أنها خطاب مرجعي أو تصور نهائي، و لكنها تطرح نفسها على أنها ذلك المعنى الإشكالي الذي يحاكي السؤال و لا يعرض عنه.

II).الحداثة عند العرب:

قبل الحديث عن مفاهيم الحداثة في أدبنا العربي الحديث، لا بأس أن نعرض باختصار أهم الدلالات المعجمية للفظ الحداثة جاء في معجم لسان العرب: "الحديث: نقيض القديم و الحديث نقيض القدمة، حدث الشيء يحدث.. حدوثا و حداثة و أحدثه هو، فهو محدث و حديث و كذلك استحدثه[2] "

و قد استخدمت العرب حدث مقابل قدم و هو ما يعني أن الحداثة تعني الجدة و الحديث يعني الجديد، أما المعنى الآخر التي تدل عليه فهو أول الأمر و بدايته "حدثان الشيء، بالكسر: أوله: و هو مصدر حدث يحدث حدوثا و حدثانا."[3] ، و قد استخدم هذه المعنى بكثرة كناية عن مرحلة الشباب و أول العمر، يقال عن فلان انه فعلا كذا في حداثة سنه أي في مرحلة شبابه، و تقول العرب رجال أحداث

[1] – فاضل تامر ، مدارات نقدية ، دار الشؤون الثقافية بغداد 1987 ص181.

[2] – ابن منظور : معجم لسان العرب دار المعارف، القاهرة، مصر، مادة حدث

[3] – ينظر المرجع نفسه، مادة حدث .

السـن و حدثان السـن و حدثاء السـن والحدثان جمع حدث و الحدث هو الفتي و الحدث هو أيضـا من أحداث الدهر شبه النازلة و الأحداث أيضا هي الأمطار النازلة في أول السنة.

الحداثة نقيض القدم وتعني الجدة و الحداثة أول الأمر و بدايته، و الحداثة كناية عن بداية الشـباب و الحدث الرجل الفتي والحداثة وقوع الأمر، و الحداثة تشـير الى ما ابتدعه الناس من أمور لم يعرفها السلف الصالح، و الحديث هو الخبر الجديد و رجل حديث كثير الحديث و أحداث الدهر نوائبه[1].

في العصـر الحديث لم تخرج المعاجم العربية الحديثة عن سـابقاتها و لم يكتسـب لفظ الحداثة أي معنى معجمي جديد و إذا أخذنا "المعجم الوسـيط" و هو من أهم المعاجم العربية الحديثة نجد الحداثة مصدر فعله حدث، نقول حدث الشيء حدوثا و حداثة بمعنى نقيض قدم، و الحداثة هي سن الشباب يقال " أخذ الأمر بحداثة أي بأوله و ابتدائه"[2].

بل إن الصراع بين و المحدثين في الشعر كان من أهم القضايا التي عرفها تراثنا النقدي،و هو ما يؤكد إن الحداثة لم تكن من القضـايا المسـتحدثة في تاريخ الأدب العربي، فالتحولات التي عرفتها المسـيرة الشـعرية و النقدية العربية مسـت جوهر الحداثة "فالمسـاهم الإبداعية و النقدية العربية لم تكن منذ القرن التاسع على اقل تقدير عن طرح مسألة الحداثة و استدعاء التداول بشأنها."[3]

[1] – ابن منظور : معجم لسان العرب دار المعارف، القاهرة، مصر، مادة حدث.

[2] – ينظر مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر ط 4 ، 2004، مادة حدث

[3] – سامي سويدان : جسور الحداثة المعلقة، دار الاداب، بيروت، لبنان، ط 1، 1997 ص 09

و كان الشعر العربي في العصر العباسي قد عرف شعراء حملوا لواء التجديد و لواء التمرد على العقيدة الجاهلية و كان على رأسهم "بشار بن برد" و "أبي نواس" الذي وقف أمام الطلل و عيناه تفيضان ازدراء لهذا الذي سيتجه التقليد بقدسية عبر القرون و نفسه ممتلئة بروح البيئة الجديدة[1].

لقد تغيرت نظرة الشعراء الحضريين للحياة التي تعقدت و انعكس ذلك على شعرهم، ثم اتجه الشعراء إلى الغموض و التعقيد و شهد لغة مجازية لم تعرف من قبل خاصة في شعر "أبي تمام". لقد تحول الشعر في العصر العباسي الى بحث مستمر عن نص مدهش، لأن الشاعر لا ينشيء شعره على مثال سابق و إنما هو مأخوذ بالرؤيا، و يكشف عن عوالم غامضة لم تكن معروفة من قبل[2]. و قد شهد الغرب الإسلامي تجددا ملحوظا في الشعر العربي تجلى في ظهور الموشح الأندلسي، كل هذه التحولات تدخل في إطار ما يسمى اليوم "بالحداثة الشعرية" و لم تقتصر تلك التحولات على الشعر العربي، فقد شهد النقد أيضا في مسيرته الطويلة محطات للتجديد على يد نقاد كبار من مختلف الثقافات و تدارسوا كتابات "أرسطو" و غيره من الفلاسفة و استوعبوها وانعكس على كتاباتهم النقدية.

III).جدال الحداثة في نقد الشعر العربي:

لعل ارتباط مصطلح "جدل" بالحداثة في بحثنا هذا إنما مرده إلى إحالة النص على المواجهة، من الوضع المستقل في علاقته بالذات المبدعة، و بما يمكن الاستدلال به على وجه الاحتمال، و طبيعي أن يكون النص قائما على هذا التصور لأنه مركب ن الشمولية المعرفية، و لأنه يتضمنها، و على ذلك يجب أن يصل بافتراضاته الاحتمالية تدريجيا إلى توضيح العلاقة المتكاملة بين ذات النص و ذات المتلقي

[1] – محمد حمود : الحداثة في الشعر العربي المعاصر بياناتها و مظاهرها، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان ط 1، 1986ص 17

[2] – مشري بن خليفة : الشعرية العربية مرجعياتها، و ابدالاتها النصية، وزارة الثقافة الجزائرية(د ط) 2007 ص 69

بشكل متداخل، يحدد إطار المنظور التأويلي، بغرض الارتقاء من فاعلية الاستقبال لدى القارئ، و فسح المجال أمام الاستنتاجات اللاحقة القائمة على الآراء المحتملة، وهو ما يبرر وجود مصطلح "جدل" لما يتوفر عليه من قدرة على الاستدلال الاستقرائي للنص، و اتصافه بالحركة المتعاقبة للفهم و التأويل.

أما علة الربط بين الجدل و الحداثة فإنها لم تدفعنا في حقيقة الأمر الى التخلي عن اقتناعنا والتي تشغل بالنا منذ وجودنا على مدرجات الجامعة – من حيث تعدد مستويات النص الواحد، بحسب إدراك الفاعلية التأويلية، و هكذا يمارس المتلقي ذاته داخل النص و هي رؤية تتزعمها الحداثة في مشروعها المعرفي، الذي يصبو إلى إدخال الذات حيز التساؤل المستمر، بوصفها طرفا في الكون، لتشكل بذلك "أيقونة" القوة اللامتناهية و المعرفة الشمولية، هكذا تتبين مهمة الحداثة إزاء الأنظمة المعرفية بغرض تعزيز الرؤية الاختلافية.

الفصل الأول

ماهية الحداثة

الفصل الأول : ماهية الحداثة

لا شـك أن الحداثة قد أعطت الأهمية البالغة للعقل الأوربي في جميع مباحث المعرفة ، مسـاهمة في تحرير الإنسان ، و مساعدة على تقدمه على أساس العقل التقني و العلمي القائم على إعطاء الإنسان مبدأ السـيادة في كل شـيء ، ومن هنا كانت الحداثة محل نقاش و انتقاد العديد من المفكرين ، من بينهم المفكر أدونيس عمد إلى مراجعة نشأتها و مبدئها و مستوياتها بغية الكشف عن مدى صـلاحها ، و هذا ما نلمسه في دراسته ،و عليه نتساءل ما هي الرؤية النقدية للحداثة عند أدونيس؟

I). الحداثة المصطلح و المفهوم :

1- مفهوم الحداثة :

الحداثة من المصـــطلحات النقدية التي أثارت الجدل بين النقاد ، و هو مصـــطلح من الصـــعوبة بمكان تحديد ملامحه أو تعريفه جامعا مانعا ، حيث يعد من أكثر المفاهيم انتشـــارا في الســـاحة الأدبية والنقدية و من أكثرها تداولا للنقاد العرب و الغربيين القدماء و المحدثين.

أ) لغة :

ســـنحاول تحديد مفهوم الحداثة لغويا من خلال بعض المعاجم العربية المتاحة ففي كتاب العين الذي يعتبر أول معجم ظهر في القرن الثاني للهجرة ،وردت فيه كلمة "حدث " بمعنى يقال :أحدوثة أي كثروا فيه الأحاديث ، و شـاب حدث و شـابة حدثة :(فتية)في السـن و الحدث من أحداث الدهر يشـبه النازلة ،و الأحدوثة :الحديث نفســـه و الحديث :الجديد من الأشـــياء و رجل حدث : كثير الحديث والحدث:الأبدان[1]فكلمة حدث وردت بمعاني مختلفة في كتاب العين و لها دلالات مختلفة الذي ترد فيه الكلمة.

أما أحمد مختار محمد في معجم اللغة المعاصـــرة فيعرف مادة (حدث) بقوله :حدث "حدث عن" حدث من يحدث ، حدوثا ، فهو حادث و المفعول محدوث عنه .

. حدث يحدث ، حدوثا و حداثة فهو حادث .

[1] – الخليل ابن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ،تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم الســامرائي، دار الرشــيد للنشــر بيروت ،لبنان ، ط1.2003 ص177

حدث الشيء :كان جديدا عكسه قديم و إذا استعمل مع قديم ضمت الدال للمزاوجة "حدث الشعر العربي شكله و مضمونه ، أخذ ما قدم و ما حدث" [1]

يقول أحد مختار "حداثة (مفرد)1- مصدر حدث .2-جدية اهتم الناس بالأرجاء العصرية (حداثتها)

3- سن الشباب على الرغم من حداثة سنه ألا أنه تحمل المسؤولية و ما الحداثة عن حلم بمانعه .

ب) اصطلاحا :

نقصد بالحداثة تلك التي بزغت شمسها في منتصف القرن19 ، و تناولت حلاقاتها التحديثية منذ ذلك الوقت حتى أيامنا الأخير في هذا القرن ، حيث كثر الحديث عنه و اختلف الرأي حولها و مصطلح الحداثة مرتبط بالفكر و السياسة و الاقتصاد و الثقافة و الاجتماع و مختلف مناحي الحياة و هذا ما يجعل من الصعوبة و مكان ضبط مفهوم محدد لهذا المصطلح.

و يذهب " محمد عابد الجابري في تصوره لمعنى الحداثة بأنها ليست هناك حداثة مطلقة كلية وعالمية ، و أنما هناك حداثات تختلف من وقت لآخر و من مكان لآخر و بعبارة أخرى الحداثة ظاهرة تاريخية وهي ككل الظواهر التاريخية مشروطة بظروفها المحدودة بحدود جمالية ترميمها السيرورة على خط التطور[2] الأمر هنا يجعل مصطلح الحداثة يتحدد في إطار وضعيته الراهنة و مدى ارتباطه بمسار التقدم والتحديث.

و نجد عدنان حسين قاسم يتطرق إلى مصطلح الحداثة بقوله" لم يكن مصطلح الحداثة غريبا على نقدنا العربي القديم فقد استخدمه بعض النقاد و اللغويين المحدثين وصفا للشعراء الذين خرجوا على

[1] – أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب القاهرة ، مصر ،2008 ص452

[2] – محمد عابد الجابري : الثوابت و الحداثة ، دراسات و مناقشات الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي بيروت ط1 ،1991 ص18

السائد المألوف عندما اهتدم الصراع بين المجددين و المقلدين حول الشعر المحدث في العصر العباسي ، وكانت مدرسة التجديد البديعي قد شرعت في تبني قواعدها على يد بشار بن برد ثم تستوي على سوقها عند أبي تمام [1]"

و معنى هذا الحديث هو اختلاف التجارب التي يعيشها الإنسان المعاصر عن معاناة الإنسان القديم والظروف الصعبة المحيطة به ، فالرؤيا الشعرية المختلفة بحكم الحياة المعاصرة المتحررة و المختلفة بسبب التخلي و رفض الارتباط بالأسر القديمة .

إذا الحداثة هي محاولة تجاوز كل ما هو تقليدي فهي تهدف إلى التجديد و بالتالي تنبذ القديم و تترك ورائها معتبرة إياه من التاريخ ، أحد المسائل التي عملت الحداثة على تجاوزها.

و في سياق آخر يذهب بون ماري دومیناك إلى تعريف الحداثة بقوله "الحداثة تعني ايتاح التطور و التفتح لكل الإمكانات و الاحتمالات من أن يتمكن الفرد من التمتع بها ، إنما تعني تنمية القوى المنتجة و تنمية الوعي بالذات و في نفس الوقت معايشة كتحرير كبير و كمنحة ، و من هنا نتيجة تلك الرؤيا السعيدة عن الحداثة [2] و لهذا تبرز الحداثة وكأنها بوابة ينفتح من خلالها الإنسان على الكثير من المفاهيم المجاورة مثل التقدم و التفتح و التحرر و غيرها .

و بناءا على هذه المفاهيم التي قدت للحداثة جزء كبير من الصيغ الواردة حولها على اختلاف مواقف ومذاهب أصحابها ، يمكن القول أن الحداثة حركة فكرية حديثة و شاملة كرؤية جديدة للعالم ويقول ألان تورين الحداثة في شكلها الأكثر طوحا هي التأكيد على أن الإنسان هو ما يفعله ، و انه من

[1] – عدنان حسين : الإبداع و مصادره الثقافية عند أدونيس ، الدار العربية للنشر و التوزيع مصر ط1 ، 1973 ص45

[2] – طيب تيزيني : الإطار النظري و المفاهيمي ، من ندوة الحداثة وما بعد الحداثة بمشاركة ....لمفكر العرب ، منشورات جامعة فيلاديليفيا ، الأردن ط1، 2000 ص35

الضـروري وجود توافق وثيق بين منتجات العلم و التكنولوجيا و العالم و إدارة و تنظيم المجتمع من خلال القوانين بين الحياة الشخصية التي تحفزها الشخصية [1].

2- نشأة الحداثة :

الحداثة من المفاهيم التي جرى حولها جدل و لفظ كبيران ، فإذا كانت الحداثة انبنت بالأســـاس على المعنى اللغوي ، فإنها جملة إيحاءات و معاني و مضـــامين جديدة و اختلف أراء النقاد حول نشـــأة الحداثة ، لذا لا بد من الحديث على المرحلة التي ســـبقت الحداثة و معرفة أصـــل الحداثة عند الغرب والعرب ، فالحداثة عند العالم العربي ما هي إلا امتداد للحداثة في العالم الغرب ، و ســـيتبين لنا ذلك من خلال الحديث عن نشأة الحداثة و تاريخ كل منهما :

أ) الحداثة عند الغرب :

ظهر تيار الحداثة في العالم الغربي نتيجة للمد الطبيعي الذي دخلته اروبا منذ العصور الوثنية في العهدين اليوناني و الروماني ، امتداد إلى عصر الظلومات ثم امتداد بالعصور اللاحقة التي تزاحمت بكل أنواع المذاهب و الفلســفات المتناقضــة المتصــارعة ، و قد كان كل مذهب عبارة عن ردت فعل لمذهب سابق ، وكل مذهب من هذه المذاهب كان يحمل في ذاته عناصر موته [2].

لقد اختلف النقاد في تحديد تاريخ نشــوء الحداثة ، و في تحديد مكان نشــوءها أيضــا ، و دلالتها و كذا الموقف منها إلا أنهم مجمعون على نشــأت الحداثة في الغرب و لكن لا يزالون مختلفين في التاريخ لها ،

[1] – ألان تورين : نقد الحداثة ، أنور مغيث المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،مصر ط 1، 1997 ص19

[2] – عدنان علي رضا النحوي : الحداثة في منظور ايماني ، دار النحو للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية ط3 ، 1410هـ .1989 م ص25

فغالبية الباحثين يرون إن بواكير الحداثة بدأت أواخر القرن التاسع عشر في الغرب في حقول الأدب بعد أن قضت الرومانسية أركان الكلاسيكية .

فنشأت الحداثة على أيدي شعراء فرنسا "شارل بودلير " و "رامبو و ملارميا" و ذلك مع بداية الرمزية ونهاية الرومانسية سنة 1830 في باريس و يرى بعضهم أنها بدأت بعد 1880 ، و يرى"كير مود " أنها انطلقت مع السنوات العشر الأولى في القرن العشرين و آخرون بدايتها بين 1910-1904 [1].

و يحدد "لورانس " بداية الحداثة لحركة أوروبية أدبية و فنية كبرى سنة 1915 حيث شهدت نهاية العالم القديم عالم ما قبل (ح.ع.Π) و ترتضي "فرجينيا "عام 1910 ، بينما يختار "ازراجاوز" عام 1912 ، وهو العام الذي تم فيه تدشين النزعة التصويرية عامي(1922 -1924) و يفضل ريتشارد أيلمان عام 1900 لبداية عنوان الحركة [2].

و يرى أيضا "محمد بينيس" : تعد الحداثة غربية التصور و التحقق ، لفعلها صفة الشمول بدا من ابسط المنتوجات حتى سيمات الحساسية فان الغرب لم يتوقف منذ اللحظات الأولى يحاكمها أو يبدلها [3] .

كما يرى أيضا "جان ماري دومنياك " إلا فيما بعد أي في الوقت الذي برز فيه مفهوم الحداثة الذي بدا بالتداول حوالي 1850 على يد كل من جيراردي نيرخان و شارل بودليز حيث نظر للحداثة

[1] – زعربان علب رضا النحوي : تقويم نظرية الحداثة ،ص56

[2] – محمود الغليثري : الاتجاهات الادبية و النقدية الحديثة دليل القارئ العام ، ميريت للنشر و المعلومات القاهرة ،ط2 2003 ص164

[3] – محمد بينيس : حداثة السؤال ، المرجع السابق، ص109

باعتبارها تكثيف لمجموعة من الدلالات القائمة ، سواء كانت فلسفية و جمالية أو سياسية ، أصبحت تعني تلك الإرادات الاستفزازية المتمثلة في حب العصر و الاحتفال به[1].

لقد عاش العالم الغربي فترة ظلام دامس عرفت بالقرون الوسطى و العصور الظلامية مر فيها الغرب أحلك أيامه و أسوءها ، حيث عم الجهل نتيجة سيطرت رجال الكنيسة و كانت الحداثة صورة تجلى من خلالها حلم العالم الغرب في البحث عن عالم مثالي ، و لقد قطع العالم الغربي في الحداثة صلتها بالدين و الكنيسة و تمردت عليه.

و قد ظهر ذلك جليا منذ ما عرف بعصر النهضة في القرن الخامس عشر ميلادي عند انسان الغربي عن الكنيسة و ثار على سلطتها الروحية التي كان بالنسبة لهم كابوس مخيفا :" فالكنيسة كانت المغسل الوحيد للدين و المعرفة ، تتدخل في صياغة كل شيء و قد تعدت سلطت الكنيسة المجتمع فهي سلطة على الملوك و الأمراء الدين الذي وافقوا على هذا التسلط نتيجة لما حثتهم به الكنيسة ، فحكمهم للمجتمع مستمد من السلطة الإلهية ... فالكنيسة هي الإله أو ما يمثله على الأرض[2].

لذا قد كان لظهور العلم و الأفكار التنويرية أثر كبير في تخليص أوروبا من ظلامها فاستطاع الغرب من خلالها تجاوز الخرافات التي فرضتها الكنيسة ، لتدخل أوروبا عصر جديد عرف بالحداثة.

[1] – نوردين افاية : الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هير ماس ، افريقيا الشرق،ط2 ،1998 ، ص109

[2] – سعودي البختاوي : الحداثة في مشروع العقاد النقدي من خلال تطبيقاته على شعر شوقي (مذكرة ماجيستر مسيلة ، الجزائر2002)

ـــ كذالك معلوم إن أوروبا قد شهدت بين القرنين 17 و 18 جملة من التحولات الجذرية في ميدان الثقافة ومجال العصران البشري و الاقتصاد و السياسة و معلوم أيضا إن هذه التحولات الشاملة بلغت ذروتها مع الثورة الصناعية في انجلترا و الثورة الفرنسية سنة 1989 [1].

ب) الحداثة عند العرب :

أما الحداثة العربية فيقول الواقع التاريخي إنها كانت فرعا من فروع الحداثة الغربية فلقد كانت للأحداث التي سبقت و مهدت لها خصوصا الحرب الأهلية الاسبانية التي انتهت بانتصار الحاشية سنة 1930 فكان لها صدى قوي في مصر بالذات ، حيث أنها كانت مهيأة بموقعها أن تكون مهمة و هدفا مباشرا من أهداف المحور ، خاصة و إن في مصر جاليات كثيرة العمل و عظيمة الثراء ، و كان بينهم عدد كبير من اليهود من جنسيات مختلفة فكان طبيعيا أن يجتمعوا و أن يتدارسوا موقفهم و أن يحاولوا القيا بعمل ثقافي إعلامي يضم شملهم و يقرب بين أفكارهم و يجتب إلى التعاطف معهم ممن يمكن اجتذابه من المثقفين الوطنيين [2].

وذلك يبدو أن البحث في نشأت الحداثة عند العرب في جذورها أوغل قدما من البحث عنه عند الغرب ، فيرى النقاد أن الحداثة تعود إلى القرن السابع للهجرة أنها بدأت بوادر اتجاه شعري جديد تمثل في بشار بن برد ، ابن هرمة و العتاهية و أبي نواس و مسلم بن الوليد و أبي تمام وابن المعتز و الشريف و اخرون [3].

[1] – محمد شيكرها يدغر و سؤال الحداثة مرجع سابق ص37

[2] – شكري محمد عياد : المذاهب الأدبية و النقدية عند العرب و الغربيين ، مرجع سابق ، ص

[3] – أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ط2 ، 1978 ، ص27

و امتدت بعدها إلى طه حسين و جماعة الديوان ، و أبولو و المهجر ، فكان أبو نواس أول من هدم نظام القصـــيدة القديم و أطاح بالمقدمة الطللية واضـــعا بدلها المقدمة الخمرية و كذلك فعل أبو تمام لرفضه القديم و سعيه وراء التجديد ، و على الرغم من أعماله لقيت أكثر رواجا فقد كان أكثرها رفضا من طرف أنصـار القديم فكان شـعر أبي تمام على الأخص الثورة الأكثر جذرية على صـعيد اللغة الشـعرية بالمعنى الجمالي الخاص [1].

لذا نستنتج من خلال ما سبق يبدو لنا الناقد قد سعى من خلال أعماله إلى إرساء مبادئ الإبداع والقراءة متجاوزا بذلك ما اســـتحدثه أبو نواس من خلال مقدمة الخمرية فقيل عنه :"هكذا اتخذت الحداثة عند أبي تمام بعدا آخر هو ما يمكن أن نســـميه بعد الخلق لأعلى مثال فهو لم يهدف إلى المطابقة بل الحياة والشـــعر بل هدف إلى خلق عالم آخر يتجاوز العالم الواقعي ، لقد اشـــترك في رفض التقليد القديم لكن كل منهما سلك في إبداع مسلكا خاصا "[2].

هذا في مجال الشعر ، أما في مجال النقد في الحداثة العربية ،أقرب إلينا منها في الشعر ، فيؤكد الدارســـون أنها بدأت مع طه حســـين أنها كفكرة رأى من خلالها انه إذا أردنا أن نتفوق ا وان نلحق ركب الحضارة علينا أولا أن نمد بأبعاد خلف البحار أي إلى بلاد الغرب و نقلدهم و نرسم على منوالهم.

يرى أيضـــا "محمد بينيس" :عادة ما يضـــع مؤرخوا الشـــعر العربي الحديث نهاية الأربعينيات أو أواسط الخمسينيات بداية للحداثة "[3].

[1] – أدونيس : الثابت و المتحول (بحث في الإتباع و الإبداع عند العرب) ، صـــدمة الحداثة ، ج3 دار العودة ، بيروت ،د ط ،د ت ،ص19

[2] – المرجع نفسه ص19

[3] – محمد بنيس :حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر و الثقافة ،ص75

كذلك يعتبر "يوســـف الخال " : "من أوائل من دعا إلى الحداثة في العالم العربي بعد مجيئهم من أمريكا ، إذ كان من أعضاء تجمع الشعر ، و كان ينطلق من تقسيم العالم إلى قسمين : عالم الحديث في العرب ذو حداثة و تقدم ، و عالم قديم في بلاد العرب ذو رجعية و تأخر ... فلا بد للعالم العربي أن يتخذ العالم الغربي له بعد أن يمحو الحواجز بينهما "[1].

و بظهور النهضــة الأدبية الفكرية في العصــر الحديث ظهر" طه حســين" في نهاية الربع الأول من القرن العشــرين ، و كأنه ســهم افترع عذرية الخمر التي يحتمي بها الفكر العربي ، ومن ذلك الوقت تفجرت مواقف متباينة أفضت إلى ظهور قراءات متضادة لفكرة و رؤيته و دوره في الثقافة العربية الحديثة.

و انتظم من حوله من الزمن ضــربان من القراءة : قراءة أولى اعتبرته مهدد المنظور القيم الدينية و الفكرية و الأدبية الموروثة و قرأته فمن ســـياق ثقافي له مقولاته المســـتقرة الثابتة التي احتجبت وراء تطورات دينية و فكرية محددة لم تكن قادرة على تجديد دائما طبقا لمقتضياتها التحديث العام الذي شـهدت و قراءة ثابتة مضـادة تماما أدرجة "طه حسـين "ضـمن مشـروع التحديث "الحداثة" و اعتبرته ممثلا لحركة التنوير في الثقافة العربية و قراءته في ضوء المقولات التي شاعت في أوروبا إبان القرنين الثامن و التاسع ، و هي الحقبة التي عرفت بعصـر التنوير ، باعتبارها ثمرة الفكر العقلي التجريدي ضد الكنيسة منذ بداية عصر النهضة [2].

[1] – يوسف الخال : الحداثة في الشعر ، مرجع سابق ،ص5 و6

[2] – عبد الله إبراهيم : الثقافة العربية و المرجعيات المســتعارة تداخل الأنســاق و المفاهيم و رهانات العولمة ،مرجع ســابق ،ص14

II). رواد الحداثة :

1-رواد الحداثة عند الغرب :

شـارل بودلير 1821-1867م : وهو أديب فرنسـي نادى بالفوضـى الجنسـية و الفكرية و الأخلاقية ، ووصفها بالسادية أي مذهب التلذذ بتعذيب الآخرين . ديوان شعر باسم أزهر لنشر مترجم للعربية من قبل الشاعر إبراهيم ناجي و يعد شارل بودليز مؤسس الحداثة في العالم الغربي مؤسسها من الناحية الفنية ، فهو أسـتاذ الحداثيين في كل مكان ،و الذي كان عميد الرمزية بغداد غار و الخطوة الأولى للحداثة فقد نادى بالفوضى في الجنس و الفكر و الأخلاق [1].

لذا قد قام المذهب الرمزي الذي أراده بودلير على تغيير وظيفة اللغة الوضـعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة تشـير الى مواضـيع لم تعدها من قبل ، و كان يطمح أيضـا إلى تغيير وظيفة الحواس عن طريق اللغة الشـعرية ، و لذا لا يسـتطيع القارئ أو السـامع أن يجد المعنى الواضـح المعهود في الشـعر الرمزي [2].

غوسـتاف فلوبير 1821-1880م: فهو أديب فرنسـي و شـاعر حداثي دعا أيضـا للحداثة و على اثار بودلير ورامبو جاء مالارامبه و جول فاليري و غيرهما ، ووصـلت الحداثة في الغرب إلى شـكلها النهائي على يد الامريكي اليهودي عزراباوند و الانجليزي توماس اليوت.

مالارامبه 18442-1898م: وهو شـاعر فرنسـي و يعد أيضـا من رموز المذهب الرمزي و لقد دعا أيضا للحداثة.

---

[1] – غالي شكري :شعرنا الحديث إلى أين ، مرجع سابق ص16

[2] – عبد الحميد جيدة : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ،مؤسسة نوفل ،بيروت ط1 1980 ص121

جياني فايتمو :"حالة وتوجه فكري تسيطر عليها فكرة رئيسية فحواها أن تاريخ تطور الفكر الإنساني يمثل عملية استشارة مطردة تتنامى و تسعى قدما نحو الامتلاك الكامل و المتجدد لأسس الفكر و قواعده والحداثة بهذا المعنى تتميز بخاصية الوعي بضرورة تجاوز تقاسيم الماضي و مفاهيمه ، و السعي الدائب نحو استمرار هذا التجاوز في المستقبل ، و ذلك لتحقيق الإدراك المطرد عمقا بالأسس الحقيقية والمتجددة التي تبطن الممارسات الإنسانية ، تضفي الشرعية عليها ،سواء في مجالات العلوم و الفنون و الأخلاق وغيرها من المجالات الفكرية العلمية" [1].

هابرماس يورغن :" مشروع ولده جهد غير عادي من جانب مفكري التنوير"[2] .

رايموند وليامز : "الحداثة تشير بشكل أو بآخر إلى مرور الزمن فمن خلال الصفة حديث تشير إلى نظام جديد ،و إلى التسارع ، والى القطيعة والى الثورة في الزمن و عندما تظهر كلمات حديث ، تحديث تحدد من جانب التضاد ماضيا قديما ومتستجا (.....) فهي كلمة تشير إلى كسر في السير المنتظم للزمن ، وتشير أيضا إلى معركة فيها المنتصرون و المنهزمون "[3] .

الان تورين :" الحداثة هي بناء صورة عقلانية للعالم الذي يدمج الإنسان بالطبيعة(....)و ترفض كل الأشكال الثنائية بين الجسد و النفس و بين عالم الإنسان و العالم المفارق"[4]

[1] – فيلسوف و عالم اجتماع ألماني ولد عام 1929 ،أحد أعضاء مدرسة فرانكفورت ، من أهم كتبه القول الفلسفي الحداثة النظرية و الممارسة.

[2] – نقلا عن المرجع نفسه ص18 حد نقاد الانجليز المعاصريين عاش بين 1921–1938، من أعماله الثقافة و المجتمع ، منابع الأمل الإشراكية الديمقراطية

[3] – محمد محمود سير أحمد طه أعداء الحداثة ، مرجع سابق .ص17–18 مفكر و عالم وفيلسوف اجتماع معاصر عربي.

[4] – محمد محمود سير أحمد طه ، مرجع ساق ، ص19

بودلير :" إن الحداثة هي المؤقت و سريع الزوال و الجائز ، هي نصف الفن ، بينما الأبد و الثابت هو النصف الأخر"[1]

2- رواد الحداثة عند العرب :

يوسف الخال 1920-1987 هو شاعر النصراني وهو سوري الأصل رائد الحداثة الأولى في العالم العربي ،و هو رئيس تحريره جلة الحداثية التي تدعو إلى الحداثة و قد مات منتحرا أثناء الحرب الأهلية اللبنانية حيث يقول :"الحداثة في الشعر إبداع و خروج ـ على ما سلف ـ الشاعر الحق هو الفذ و المتمرد و الجريء ، و الشاعر يتمرد و يثور ، إلى أي أحد يبقى أن يأكل و يشرب و يعاشر و يشارك فلا وجود خارج المجتمع "[2].

و يقول أيضا :"إنما هي نتاج عقلية حديثة تبدلت نظرتها إلى الأشياء تبدلا جذريا و حقيقيا انعكس في تغيير جديد"[3].

أدونيس(علي أحمد سعيد)1930-1947 شاعر حداثي نصراني سوري ، و يعد الرائد و الأول للحداثة في البلاد العربية ،و يقول في كتابه الثابت و المتحول : "هكذا تولدت الحداثة تاريخيا من التفاعل والتصادم بين موقفين و عقلين في مناخ تغير ، و نشأت ظروف و أوضاع جديدة ، ومن هنا وصف عدد من مؤسسي الحداثة الشعرية بالخروج"[4].

---

[1] – محمد محمود سير ، مرجع سابق ، ص 19

مفكر مغربي (1935-2010)من أهم كتبه (سلة نقد العقل العربي ،بنية العقل العربي ، العقل السياسي العربي ، العقل الأخلاقي العربي)

[2] – يوسف الخال : الحداثة في الشعر ، مرجع سابق ، ص 15-85-86

[3] – يوسف الخال : الحداثة في الشعر ، مرجع نفسه ، ص17

[4] – أدونيس : الثابت و المتحول (بحث في الإتباع و الإبداع عند العرب)مرجع سابق ، ص11

لذا يعتبر أدونيس المنظر الفكري للحداثيين العرب

عبد العزيز المقالح وهو كاتب و شاعر يماني ، و هو الآن مدير لجامعة صنعاء و ذو فكر ساري

محمد عابد الجابري 1936 هو أحد كبار منظر و رائد للحداثة فهو يدعو إلى إعادة النظر في التراث

صلاح عبد الصبور 1931-1981 فن رواد الحداثة المصرية.

حسـن الحنفي :"يرى أن الحداثة قد تعني إتباع أسـاليب العصـر و مناهجه في تحليل التراث و تعني التجديد ، و هو تطوير التراث من داخله طبقا لحديث المجددين ، إن الله يبعث على رأس كل مائة سـنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها فالحداثة لا تعني الغرب بالضـرورة و إنما تعني قدرة التراث على أن يجتهد طبقا لظروف العصر"[1]

هشام شرابي :" يتجسد معنى الحداثة بالنسبة إلينا في اتجاهين مترابطين و الحديث هو الجديد والطلائعي ،بمعنى المغامرة نحو المستقبل و الانفلات من قيود الحاضـر و الماضـي غير أن الحديث ليس هربا من الحاضـر بل تأكيد له ، فالإبداع و الخلق لا يحدثان إلا في اللحظة الحاضـرة في الآن التي تتحول إلى زمن جديد ، الحاضـر هو أرض المستقبل و هدفه ، و دون العمل في الحاضـر و تغييره لا يمكن العمل في المستقبل و بنائه"[2]

[1] – أدونيس : مرجع سابق ، ص34

نقلا عن : علي رحمومة سحبون، إشكالية التراث و الحداثة في الفكر العربي المعاصرين بين محمد عابد الجابري و حسن حنفي : منشأ المعارف ، مصر ، د ط ،2007، ص34،" مفكر فلسطيني عاش بين 1927-2005 من كتبه (مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، أئمة المثقفين الغرب)

[2] – ضمن :محمد سبيلا ، عبد السلام عبد العالي ، الحداثة ، دار توبقال ، المغرب ،ط1 1996 ص 105

أركون :"الحداثة " ليست المعاصرة فقد يعاصرنا أشخاص لا علاقة لهم بنا ولا بالحداثة و العصر أناس ينتمون عقليا لمرحلة القرون الوسطى ،و قد توجد في القرون السابقة شخصيات تمثل الحداثة "[1]

على أنها "موقف فعلي و توتر روحي معين يتسم بالحيوية الفكرية و الانفتاح الثقافي(النزعة الإنسانية)"[2]

طه عبد الرحمان :"إن الحداثة عبارة عن نهوض الآمة ،كائنة ما كانت بواجبات واحد من أزمة التاريخ الإنساني لما يجعلها يختص بهذا الزمن من دون غيرها و تتحمل مسؤولية المعني به إلى غايته في تكميل الإنسانية أو قل أن الحداثة هي نهوض الأمة بواجبات زمنها "[3]

و جرت مقايسة بين "طه حسين " من جهة ، و مفكري عصر التنوير من جهة ثانية فاعتبر مشروع الفكري قمة عصر التنوير في عالمنا المعاصر ، و انه ثورة تنويرية ، أو انه ذو طبيعة تنويرية كونه نقل النظرة إلى التراث من الحيز اللاهوتي الذي يقدس الماضي إلى النقد التاريخي الذي يرى الماضي سيرورة موضوعية ينبغي أن تخضع لمناهج التحليل و النقد [4].

و له طه حسين "أراء تباه خاصة في رؤيته للشعر الجاهلي ، و ذلك استنادا لتبنيه رؤية منهجية فيقول :" فالنصوص التاريخية الصحيحة تبتدئ بالقران "[5] .

و يقول :" هو وحده النص العربي القديم الذي يستطيع المؤرخ أن يطمئن إلى صحته و يعتبره مشخصا للعصر الذي تلي فيه "[6].

---

[1] – محمد سبيلا ، عبد السلام عبد العالي، مرجع سابق ص106

[2] – محمد أركون ، قضايا في نقد العقل الديني ، مرجع سابق ص102

[3] – طه عبد الرحمان ،الحداثة و المقاومة مصدر سبق ذكره ، ص20

[4] – عبد الله إبراهيم : الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة مرجع سابق ص14

[5] – عبد الله إبراهيم ، مرجع سابق ص14

[6] – مرجع نفسه ، ص14

و هذه المفاهيم و الآراء ما كانت لي تكون تأثر "طه حسين " بمنهج الشك الذي جاءت به فلسفة "ديكارت" و من ثم فقد حذا حذو الناقد "طه حســـين " العديد من النقاد و الأدباء ، بحيث تأثروا بالمناهج والأفكار الغربية مثل : "أدونيس" ، "كمال أبو ديب "، "ســـلامة موس" ،"شـــكري عباد "،"خالدة ســـعيد" ، "الياس الفوري" و بعد هذه الرؤية التي رآها "طه حســين " و النقاد الذين تبنوا أفكاره ، أصــبح معظم النقاد متجهين صــوب المســتورد الأدبي الأوروبي بحثا عن أدوات التحليل و التفســير حتى عندما حاولوا عادة تقويم روائع التراث العربي

كما يذهب أيضـــا "طه حســـين" إلى أن وســـائل هذا الاســـتقلال العقلي و النفســـي لا يكون إلى بالاستقلال العلمي و الأدبي و الفني "و يقتضـي ذلك بالضـرورة إن نتعلم كما يتعلم الأوروبي لنشـعر كما يشـــعر الأوروبي ، و تحكم كما يحكم الأوروبي ، ثم لنعمل كما يعمل الأوروبي ، و نصـــرف الحياة كما يصرفها[1].

III). مبادئ الحداثة :

كل باحث لموضـوع الحداثة و المسـار الطويل الذي تدرجت فيه يجد نفسـه محكوما بضـرورة الوقوف عند أسس نشوئها و تشكلها و تطورها و سرعة انتشارها و نفوذها و قدرتها في الاستحواذ على فكر غيرها ، وكان اهتداء الباحثين إلا أن ثمة من المفاهيم ما تكرر في متون الحداثة و لخصها في ثلاث :

[1] – عبد العزيز شـرف : طه حسـين و زواج المجتمع التقليدي ، مجلة مسـتقبل الثقافة ، الهيئة المصـرية العامة للكتاب ، مصر ، د ط ، 1977 ،ص146

1-العقلانية : rationalité

بهذا المبدأ عرفت الحداثة عموما و إليه نسبت ، وما زال الاعتقاد بهذا التناسب و الترابط راسخا حتى سوي بينهما ، حتى أصبح البحث في الحداثة يستوجب الخوض في العقلانية ، و كل بحث في العقلانية يقرن بصورة واضحة و مباشرة بالحداثة ، حتى قيل الحداثة العقلانية أو عقلانية الحداثة ، فتبعا للعلاقة الوطيدة بينهما كما يرى هابرماس إن حضور الواحد يستدعي الأخرى و العكس صحيح و ما دام إن العقل هو المجال الذي يتحرك فيه الخطاب الحداثي بكل متتبعاته ، و هذا أمر لا يمكن الشك فيه ، فالعقلانية هي مفتاح الحداثة و روح الإنسان الحديث بعد سيادة العبث و الفوضى ، و ترك العالم عرضة للصدفة والهوى و الخرافة ، كما كان الحال عليه في العصور الوسطى ، فها هو الإنسان الحديث ينظر ، يتأمل ، ينفذ ، و يبسط سلطته ، و يستبد ، و يحدد لكونه ذات عاقلة ، فهو الوحيد الذي يبرز وجود الأشياء ، ويعللها ، و على هذا الأساس تعتبر الرابطة الحميمية بين الحداثة و العقلانية امرأ بديهيا ، و ينتج عن ذالك نزع الطابع السحري و الوهمي عن العالم ، و إزالة التصورات العتيقة ، و تعويضها بثقافة علمية عاقلة .

و على هذا الفكر الفلسفي في المناخ الكلاسيكي الغربي قد أسس حداثة بمحاولة إعادة الاعتبار إلى العقل و إثباته من ناحية ، و باستبعاد اللاعقل بجميع مظاهره من جهة أخرى ، باعتباره منبع الفساد و التشويش و الخراب ، و على هذا فالعقل مفتاح الحقيقة و الأسطورة و مخبؤها ، و بالعقل يستطيع المرء أن يسيطر على ما تخفيه الأسطورة ، وان يكشف وظائفها لفهم مقاصدها [1].

[1] – فتحي التريكي ، و رشيدة التريكي : فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1992 ،ص69

2-الذاتية: la subjectivité

إن القول بالأساس الذاتي للحداثة لا يقل وزنا عن القول بأساسها العقلي ، و الحق أن الحداثة في معناها القريب و المباشر هي ايلاء الأولوية للذات ، كونها استعادة ثقة الإنسان في فكره و حقه و ملكه ومسؤوليته ، إذ وجد الإنسان المتعة ل فيما قرره التقليد أو أفتى به القس ، أو أمر به القوم ، و إنما هي أعماله بما هو فرد ذو طبيعة حرة و عاقلة فمنذ عهد الحداثة صار بمقدور المفكر أن يفكر بدء من ضمير المتكلم "أنا" ، و هذه " الأنا" كانت مغيبة في العهد القديم و منغمرة في " ا>>لنحن " و ذائبة فيه . فالفكر الحداثي أعاد تشكيل نظرة الإنسان إلى ذاته كذات مستقلة "هي مقر و مرجع الحقيقة و اليقين ، و هي المركز و المرجع الذي تتنسب إليه الحقيقة لكل شيء ، ـــأي تنصيب الإنسان ككائن مستقل و واعي وفاعل و مالك للحقيقة "[1].

و لعل ابرز ملمح تجلى فيه قيام الحداثة على الذاتية كان في إعمال ديكارت الذي وجد الفلسفة الحديثة نحو الذات ، ذلك انه تصور الإنسان بما هو "الأنا" و أناط بهذه الأنا " الفكر" ، فصار الإنسان جوهرا صفته الفكر ، فمع الكوجيتو الديكارتي أصبحت فيه الذات المفكرة مركزا و مرجعا لكل حقيقة ، وتبلورة ثقافة عقلانية لتشكل الأرضية و الايدولوجيا المؤسسة لفكر الحداثة "فالفلسفة ابتداء من ديكات أصبحت تحليلا للوعي و لمكانه و قواه ، فوعي الإنسان لذاته أساس كل فكر لدى الإنسان ، و انطلاقا من الوعي وحده يستطيع المرء أن يقوم بوصف لظاهرات العالم ، وانطلاقا من الوعي وحده نستطيع أن نحدد ما يجب أن نعتبره موجودا حقا ، عند إذ تتطابق الحقيقة مع التماثلات اليقينية ، و يومئذ نجد "الأنا" التي تشكل تمثلاتها و قد أصبحت مناط كل ما هو موجود[2].

[1] – محمد سيلا : الحداثة وما بعد الحداثة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 ،2000 ،ص63

[2] – عثمان أمين : ديكارت ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، مصر ، د ط ،1969 ،ص28.

3- الحرية la liberté

إن القول بالحرية كأســـاس للحداثة لا يقل قيمة عن القول بأســـاس العقلانية و الذاتية ، إذ يمكن القول بأن الحداثة هي الحرية ، فكما نظرة الحداثة إلى العالم نظرة ملأها العقل و اعتبار الذات ، فقد عمدت كذلك إلى جل الإرادة البشــرية أســاس بناء المجتمع و الدولة الحديثة ، فالحرية في الفكر الحداثي هو جوهر الكائن البشــري ، و غاية وجوده ، و هي شــرط لتحقيق الكمال و الخلق الذاتي ، و الأكثر من ذلك هي الشــرط الضــروري للحصــول على مشــروعية الفعل الأخلاقي ، و الاجتماعي ، و الأســاســي ، والاقتصادي... الخ

و أول من حقق مبدأ الحرية فلاســفة الحداثة و روادها ، ابتداء بديكارت حينما ربط الفكر بالإرادة ، و أوسطه تحقق مع ليبنتز (1946-1716) الذي عمم مبدأ الإرادة هذه ، و جعل من كل كائن مريد ، و منتهاه مع كانط الذي جعل من الإنســان الكائن الحر بامتياز ، و جعل من الحرية مقدرة م ع الإنســان على تشــريع لنفســه ، وذلك من دون سـند خارجي أو عون موضــوعي [1]هذه الأفكار و غيرها كانت بمثابة البذور الأولى لنشـأة المشـروع الحداثي الغربي ، و الذي كانت الحرية صـلبه و نواته و نشـأ بذلك المجتمع الحديث ، الذي هو مجتمع الطبقات المفتوحة لا الطوائف المغلقة.

فحداثة الحرية هي التي تقوم على الاعتراف بالأخر كإرادة حرة لها حق الاختلاف و التواصـــل ، وبالتعبير الســـياســـي و الاجتماعي الحرية هي بمثابة الفضـــاء الذي يتحقق في إطاره التفاهم و الاعتبار المتبادل ، فتعزز الثقة بين الحاكم و المحكوم ، و تزول أســـباب الظلم والعبودي ، و منه اســـتثمار الكل مقدرات الخلق الإبداع و التطور. فالحرية بهذا هي ركن أساسي في النظرة الجديدة في التحديث.

[1] – محمد الشيخ : فلسفة الحداثة في فكر هيغل ، مرجع سابق ، ص 26

IV) مستويات الحداثة :

يحدد أدونيس ثلاث مستويات للحداثة قصد تبسيط المفاهيم حسب رأيه و هي :

1- الحداثة العلمية :

يعني بها " إعادة النظرة المستمرة في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها ، و تعميق هذه المعرفة و تحصينها باطراد [1] أي أنها تعني إعادة النظر في معرفة طبيعة الإنسان ، و مجموعة تحولات المستمرة في المعرفة.

2- حداثة التغيرات الثورية :

تعني نشوء حركات و نظريات و أفكار جديدة ، و مؤسسات و أنظمة جديدة تؤدي إلى زوال البنى التقليدية القديمة في المجتمع و قيام بنى جديدة [2] . و يربط هذا المفهوم بالمجالات المختلفة الإقتصادية منها و الاجتماعية منها و السياسية ، حيث تضمنت مجموعة التغيرات التي أدت إلى تحول جذري شامل في المجتمع ، و جاءت كثمرة للفكر الحداثي في المجتمع الأوروبي .

يرتكز مفهوم الحداثة على الثورة كمفهوم محوري ، فالغرض منها هو تحقيق التحول من وضع أخر و تجسيد أساليب جديدة مختلفة في نظرتها و عن التصورات السابقة و جعل من المستقبل عامل مهم في تشكل الحداثة و وجودها ، و يشير إلى الحداثة السياسية من خلال الأوضاع السياسية السائدة " إن الحداثة في المجتمع العربي بدأت موقفا يتمثل الماضي و يفسره في مقتضى الحاضر ، و يعني ذلك أن الحداثة في المجتمع العربي بدأت سياسيا.

[1] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن . ص 321

[2] – المرجع نفسه ، ص 321

بتأسيس الدولة الأموية ، و بدأت فكريا بحركة التأويل[1] و سلط اهتمامه على الحركات و التيارات الفكرية المناهضة ، حيث يرى أن للحداثة تيارين " الأول سياسي فكري و يتمثل من جهة في الحركات الثورية ضد النظم القائم ، بدءا من الخوارج و انتهاء بثورة الزنوج مرورا بالقرامطة و الحركات الثورية المتطرفة ، و يتمثل من جهة ثانية في الاعتزال و العقلانية و الإلحادية و في الصوفية على الأخص [2].

3- الحداثة الفنية :

المقصود بها تساؤلا جذريا يستكشف اللغة الشعرية و يستقصيها و افتتاح آفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية ، وابتكار طرق للتكبير تكون في مستوى هذا التفاؤل ، و شرط هذا كله المحور عن نظرة شخصية فريدة للإنسان و الكون[3] و بين أن الحداثة الفنية اقتصرت على التجارب الجديدة في الكتابة و الطرق المبتكرة في التغيير عن نظرة كل شخص للكون ، فهو إنتاج للجمال و موهبة إبداع تتميز بها الكائن البشري " نظر معرفي يصغي إلى العالم فيما يخلق صورة جديدة له و هو إذن ، شمل الوجود كله ، و جمالية الوجود"[4] و الحداثة الفنية عنده مرتبطة بنظرة المبدع أو الفنان إلى الإنسان و العالم.

إن من أهم القضايا التي أثارت أدونيس هي قضية التساؤل الذي يعد مفتاح الفكر عنده ، باعتباره قضية مصيرية في المجتمع العربي و الشيء الأخر أثر فيه هو طريقة التفكير القائلة انه إذا كان هناك معلوم في العالم و مقابلة هناك مجهول ، فانه المعرفة الحقيقية ليست معرفة العلوم بل معرفة المجهول،

---

[1] – أدونيس : الثابت و المتحول في الإبداع و الإتباع عند العرب، ج4– صدمة الحداثة و سلطة الموروث الشعري : دار العودة ، بيروت–لبنان، ط4، 1983ص 5.

[2] – أدونيس : الثابت و المتحول ج4–صدمة الحداثة ، ص5.

[3] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، بيانات من أجل ثقاة عربية جديدة ، ص321.

[4] – أدونيس : موسيقى الحوت الأزرق (الهوية،الكتابة،العنف/ دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط1،2002، ص304.

وقد ســكنني هاجس المجهول منذ بداية الطفولة[1]. كان هاجس معرفة المجهول و الكشــف عنه ، و كان متأثرا بأمور عدة من أهمها هذا الضــرب من التفكير و الهاجس الذي يعد مضــادا للمعرفة التقليدية التي كانت سائدة في مجتمعنا و ثقافتنا ، حيث أنه كان يترك المعلوم و يحاول دائما البحث عن المجهول[2].

سعى أدونيس إلى تحقيق حداثة فنية بالانفتاح على التجارب الجديدة في الممارسة الكتابية ، فكل تجربة جديد تؤســس مولد تجربة مختلفة و يقصــد الطريق لإثبات تجارب أخرى مميزة و بالتالي الانفتاح على الكتابة الفنية ، و التجربة هي أداة شاملة تلم الإنسان و العالم عبر تفاصيلها الحقيقة في الصور الشعرية و الكتابة لإبداعية بصفة عامة ، و ليس السهل ميلاد تجربة إبداعية منفردة فهي تتطلب الجهد الكثير و معاناة إضافية إلى توفر الرهبة الخاصة.

تطلب الحداثة الفنية طرق جديدة للتعبير عن التســاؤلات المطروحة أي ترقى لصــياغة الأجوبة المقنعة و التعبير عنها بمفهوم واســع عن تلك الحالة التي يســتطيع من خلالها الإنســان الإعراب عن الخفايا في نفســه بالإقطاع المباشــر أو الرمزي أو الإيحائي، كما بمقتضــى لغة جميلة مؤثرة و ابتكار أساليب مستخدمة التي تميز المبدع عن غيره فتصبح بصمة في التجربة الإبداعية أن الأسلوب قد ارتبط أساسا بطرق متنوعة في التغيير تحدها علاقات تركيبية لغوية و معجمية منظمة [3].

أما مؤلف ابن منظور لســان العرب فيعرف مادة(حدث) بقوله حدث يحدث حدوثا و حداثة وأحدوثة فهو محدث و حديث ، و كذلك استحدثه (...) و الحدوث كون الشيء لم يكن و أحدثه الله عز وجل فحدث ، و محدثات الأمور ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء كان السلف الصالح على غيرها و في

[1] – صقر أبو فخر : حوار مع أدونيس الطفولة ، المنفى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، لبنان، ط1 ، 2000 ، ص50

[2] – المرجع نفسه ، ص50

[3] – محمد عبد المطلب : بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي ، دار المعارف– القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1995 ، 2000

الحديث " إياكم و محدثان الأمور" جمع محدثة بالفتح و هي ما لم يكن معروفا في كتاب و لا سـنة و لا إبداع(...) و أخذ الأمر بحدثاته و حداثته أي بأوله و ابتدائه[1].

و الحداثة ليس مصـطلحا فارغا لا في الشـعر العربي و لا في الحياة العربية بعامة فهو مصـطلح تناوله الغربي أكثر منه العربي كما يحمله من معاني و دلالات مختلفة في السـاحة الأدبية ، و بذلك فهي تعني الإبداع و التجديد و الابتكار الدائم و رفض الجمود و الارتباط بكل ما هو تقليدي.

" أما في اللغة الفرنسية فكلمة الحداثة (Modernite) مشتقة في الجذر (Mode) و هي الصفة أو الشكل أو هو ما يبتدئ به الشيء فاللغة العربية ترتبط بماله أكثر من دلالة عما يقع أنه يحدث فالشكل ليس هو الصورة التي تبرز فإن ما يحدث يتشبث بواقعيته و رهينته[2].

نفهم من خلال تحديد الأصـل اللغوي لمصـطلح الحداثة هو تجسـيد بدايات اسـتعماله للدلالة على صفة الحديث و تطور هذا المصطلح ليحمل بعدا زمنيا من خلال عملية التركيز التاريخي.

[1] – ابن منظور لسان العرب ، مادة(حدث) ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1997 ص 37

[2] – مطاع صـفدي : نقد العقل الغربي للحداثة و ما بعد الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان، ط1 ، 1990 ص 322

الفصل الثاني

المفاهيم النقدية للحداثة لدى أدونيس

الفصل الثاني: المفاهيم النقدية للحداثة لدى أدونيس

I) مفهوم الحداثة عند أدونيس :

لعلاقة (أدونيس) بالحداثة تاريخ طويل و متشـــعب، فلم يرتبط أديب عربي في عصـــرنا الحديث بمصـطلح كما ارتبط (أدونيس) بمصـطلح الحداثة، إنه سـيدها الأول و الناطق باسـمها و صـورتها التي تنعكس على مرآة الأدب و الشعر بخاصـة إذ أردنا استخدام لغة مجسيه و إتباعه، و قد حمل منذ بداياته الأولى لواء التجديد الشـعر العربي، فعل الرغم من عدم استخدامه الصـريح لمصـطلح الحداثة غير أن كل الأفكار التي كان يطرحها في كتاباته النقدية تدل فيما لا يدعو محل للشـــكل. على فكر ســـاعي للتجديد ومشرنب إلى غد مختلف و رافض للتقليد بجميع أشكاله أما أشعاره الأولى فقد غلب عليها طابع الحداثة " فهناك نصـوص شـعرية كثيرة تحمل سـمة الحداثة كان قد نشـرها في مجلة" شـعر اللبنانية، تعتبر الخطوات الأولى و البارزة في دخوله إلى عالم الحداثة، إلى جانب ذلك وردت نصـــوص نقدية أخرى هامة في نفس المجلة تؤسـس للحداثة[1] ، و تبدو ملامح الحداثة واضـحة حتى في العناوين التي كان يفعلها على مقالاته أو محاضـراته، فهناك مقال نقدي نشـره في مجلة "شـعر " سـنة 1959م بعنوان "محاولة في تعريف الشـعر الحديث" ،إن مجرد قراءة العنوان قراءة متأنية يمكن اسـتنباط أنه رافض للمفهوم القديم للشـعر و أنه يصـبو لتأسيس عالم شعري مختلف ، أما المحاضرة التي شارك بها في مؤتمر روما سنة 1961 ، فكان عنوانها "الشعر العربي و مشكلة التجديد " و يتضح من خلال العنوان انه كان يحمل هاجس تجديد الشعر العربي و يسعى لكشف أهم العقبات التي تحول دون هذا التجديد ، كان ذلك يؤكد رؤية (أدونيس) الجديدة للشعر و الأدب عموما "لقد بدأ أدونيس ، منذ بداياته و من خلال جماعة "شـــعر" ، الأكثر اطلاعا بين أقرانه

[1] – سعيد بن زرقة : الحداثة في الشعر العربي أدونيس نموذجا ،ص144.

بعموم الحداثة ، ثم ــ فيما بعد ــ الأوضح تعبيرا عن مفهومها أو عن خطوطها العريضة ، ليس فيما كتبه من شعر و حسب ، بل فيما كتبه أيضا من دراسات و مقالات [1].

لقد كانت الحداثة حاضرة حضورا قويا كمفهوم في فكر (أدونيس) منذ رفع قلمه كاتبا باكورة أعماله ، أما حضور مصطلح الحداثة في كتاباته فلم تتضح معالمه إلا في السبعينات و منذ ذلك الحين بدأت تترسخ تلك العلاقة التاريخية بين (أدونيس) و الحداثة "لقد أصبحت إشكالية الحداثة الإشكالية الأساسية والجوهرية في النظرية الشعرية عند أدونيس ،فعلى أساس النظر إليها تتولد المواقف من القضايا الأدبية والفكرية الأخرى و يعتبر "بيان الحداثة "الذي كتبه أدونيس عام 1979 م ، الرؤيا الأكثر إشكالية و الأكثر إفصاحا حول مفهوم الحداثة لكونه يطرح للنقاش و التساؤل قضايا أساسية و جوهرية في عملية تفعيل النظرية الشعرية وفق المنظور الأدونيسي [2].

لا شك في أن الكثير من المهتمين بالحداثة في المجال الأدبي يعتبرون (أدونيس) المنظر الأول لها ، فقد كانت هاجسا يراوده منذ بداية رحلته الأدبية و الشعرية بخاصة إلى غاية تحولها إلى بيان جماعي عام و إشكالية فكرية عربية ، و لم يقتصر اهتمامه بالبحث عن صورة حديثة و مغايرة للشعر العربي بل امتد إلى إعادة قراءة الشعر العربي القديم و النصوص النقدية و الصوفية قراءة مختلفة في ضوء معطيات جديدة و اكتشاف العناصر الدالة على الحداثة فيها" يعتبر أدونيس ، بلا ريب ، مكتشف النظريات العربية للحداثة في ثقافتنا القديمة ، من خلال أقوال المبرد و ابن المعتز و ابن جني و ابن رشيق ، و هؤلاء جميعا ينتصرون للشعر المحدث أو الشعر المكتوب في زمنهم"[3].

---

[1] – جودت فخر الدين : أدونيس : هاجس البحث و التأويل التعبير عن الحداثة شعرا و نثرا ،مجلة فصول مج 16 ، ع2 ،1997، ص182.

[2] – حبيب بوهرور :تشكل الموقف النقدي عند أدونيس و نزار قباني ص194 . 195

[3] – محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بناياته و ابدالاته ص161.

أدونيس شاعر من رواد شعراء الحداثة و كتاباته الشعرية تجسد بالصدق رؤيته الحداثية للأدب وللحياة عموما ، و هي في الوقت نفسه تجسيد نظرياته التي ما فتئ ينادي بها في كل لقاءاته و ينشرها في كل كتبه و مقالاته و التي تتمحور مفهوم مركزي هو الحداثة و هو على يقين من الوصول الى حقيقة الحداثة التي يدرك جيدا مدى التعقيدات التي يتضمنها هذا المصطلح في ثقافاتنا العربية ، في حين يطرح السؤال أمر سهل فالحداثة في المجتمع العربي إشكالية معقدة ، لا من حيث علاقاته بالغرب و حسب ، بل من حيث تاريخه الخاص أيضا بل يبدو لي أن الحداثة هي الإشكالية الرئيسية [1].

و قد تكون إشكالية الحداثة تكمن في شموليتها و ارتباطها بجميع مجالات الحياة و هي بذلك تمس حياة أغلبية أفراد المجتمع إن لم نقل جميع أفراده بدون استثناء ، ومعنى ذلك أنها ستتوغل في مناطق شديدة الخطورة و على رأسها العقيدة يحدد أدونيس أبعاد أو مستويات الحديثة حسب تعبيره و هي عنده ثلاثة مستويات او ثلاثة حداثات علمية و حداثة التغيرات الثورية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ، و أخيرا الحداثة الفنية ، يلجأ إلى هذا التقيد تبسيط المفاهيم حسب رأيه.

فالحداثة العلمية تقترن عنده بالمعرفة و بعلاقة الإنسان بالطبيعة يقول "علمية تعني الحداثة ، إعادة النظر المستمرة في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها ، و تعميم هذه المعرفة و تحسينها باطراد"[2]، إن أدونيس يعرف هنا الحداثة العلمية بأنها تلك التحولات المستمرة في المعرفة العلمية للطبيعة أو المحيط الذي يعيش فيه البشر هذه المسيرة المعرفية التي لا تعرف التوقف ولا تمل ، إلى نهاية معروفة إنها رحلة لا نهائية نحو الكشف الدائم ، و المعرفة تشتمل على فهم الحقائق و اكتساب المعلومات أما عن طريق التجربة أو من خلال تأمل النفس أو من خلال الإطلاع على تجارب الآخرين و المعرفة العلمية بخاصة هي معرفة جدلية تقوم على البرهان و الملاحظة المستمرة و المنظمة للظواهر سعيا إلى تفسيرها و كشف العلاقات

[1] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن .ص320.

[2] – أدونيس : مرجع نفسه، ص 321

التي تنظمها و هنا يبرز دور العقل كعامل رئيســـي في إنتاج المعرفة و تعميقها و يذكرنا هذا بمبدأ العقلانية و بديكارت و بعصر الأنوار في أوروبا و هو ما يدل على مدى تأثير أدونيس بالحداثة الغربية ، ترتكز الحداثة العلمية عند أدونيس على الســعي المتواصــل إلى تفســير الظواهر الطبيعية بغية إخضــاع الطبيعة لإرادة الإنســان الذي صــار ذا شــأن كبير في فكر الحداثة ، فالطبيعة المليئة بالطاقة و القوة التي يمكن تسخيرها للبشر و لا تتم السيطرة على الطبيعة الا من خلال القانون العلمي المحصل ، إن إعادة النظر المستمر في معرفة الطبيعة يعني بلا شك النقد المتواصل لكل الآراء و النظريات العلمية و النقد من سمات الحداثة بشكل عام لأنه يحافظ على استمراريتها و تجددها، هذا النقد أيضا هو الضامن المهم للحافظ على الحركة الدائمة لعجلة العلم، فنيوتن في سعيه لتفسير ظاهرة سقوط التفاحة توصل إلى قانون الجاذبية و انطلاقا من هذا القانون اســتطاع الإنســان اختراع الطائرة و الأقمار الصــناعية و المركبات الفضائية ليواصل عملية الاكتشاف.

أما الحداثة " التغيرات الثورية، اقتصادية، اجتماعية، السياسية، فيقول عنها ثوريا تعني الحداثة نشوء حركات و نظريات و أفكار جديدة، و مؤسسات و أنظمة جديدة يؤدي إلى زوال البن التقليدية القديمة في المجتمع و قيام بن جديدة[1]"

يرتبط مفهوم الشوري للحداثة لدى أدونيس في المجالات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و هو هنا يتكئ على مفهوم الثورة الذي يتضــمن تلك التغيرات الاقتصــادية و الاجتماعية و الســياســية و التي تؤدي إلى تحول جذري شامل في المجتمع فالثورة الصناعية في انجلترا الثورة السياسية في فرنسا هما ثورتان جاءتا كثمرة للفكر الحداثي في أوروبا ، و الثورة لا تنشأ من فراغ بل تعود إلى عامل أساسي و هو ذلك النشــاط المرتبط بالعقل و الذي يؤدي إنتاج فكري يميز الإنســان عن باقي المخلوقات ، هذا الإنتاج

[1] – أدونيس : مرجع سابق، ص 321

المتمثل في أفكار تتداولها فئة مسيرة من المجتمع تسعى إلى تغير الأوضاع السائدة ، بعد أن تتطور تلك الأفكار إلى مجموعة من الأحكام و الآراء في قضايا تهم المجتمع فتتشكل عل أثرها النظريات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و التي يمكن تجسيدها على ارض الواقع إلا بعد أن تصبح هما مشتركا وهاجسا داخل المجتمع ، و بذلك تظهر التيارات و الحركات الفكرية و تنشا الأنظمة و المؤسسات لتقود المجتمع إلى تغيير ، هذا التغيير يكمن أساسا في تشكيا بنى جديدة تحل محل البنى التقليدية القديمة التي لم تعد تلائم البعض ولا تحقق طموحات و تطلعات أغلبية أفراد المجتمع ، إن مفهوم الحداثة ترتكز على الثورة كمفهوم محوري لا تتحقق الحداثة إلا عن طريقه و الثورة هنا ليس من الضرورة أن تستخدم العنف المادي أو المعنوي لكن المهم هو أن تتمكن من تحقيق التحول من الوضع القائم إلى وضع آخر أفضل و ذلك سعيا إلى تجسيد مثل و أساليب جديدة تختلف في نظرتها و حركتها عن الشعورات التقليدية السابقة ،، أي أن تجعل من المستقبل عاملا مهما في تشكلها و وجودها ، و يتميز هذا التعريف بالشمولية و الاقتطاب على اعتبار أن أدونيس يركز كما يكرر دائما على الحداثة الفنية و مع ذلك فهو يشير أحيانا إلى الحداثة السياسية في تشخيصه للوضع السياسي العربي الراهن أو عند تناوله للتاريخ العربي الإسلامي يقول مثلا" إن الحداثة في المجتمع العربي بدأت موقفا يمثل الماضي و يفسره بمعنى الحضار ، و يعني ذلك أن الحداثة بدأت ، سياسيا ، بتأسيس الدولة الأموية ، و بدأت فكريا بحركة التأويل "[1] ، و في قراء للوضع السياسي الذي ميز فترة العهد الأموي و العباسي سلط اهتمامه على الحركات و التيارات المناهضة بالحكم القائم و التي يعتبرها من تيارات الحداثة ، فهي تحتكم إلى مرجعية فكرية تختلف عن فكر السلطة الحاكمة" في أثناء العهدين الأموي و العباسي حيث نرى تيارين للحداثة : الأول سياسي ـ فكري و يتمثل في جهة ،

[1] – أدونيس : الثابت و المتحول بحث في الإبداع و الإتباع عند العرب ج4 صدمة الحداثة و سلطة الموروث الشعري ،ص5

في الحركات الثورية ضد النظام القائم بدا من الخوارج و أنها بثورة ..... مرورا بالقرامطة والحركات الثورية المستطرفة ،و يتمثل ، منهجة ثانية ، في الاعتزالو العقلانية و الالحادية ، و في الصوفية على الأخص[1].

في المستوى الفني تعني الحداثة عند أدونيس"تساؤلا" جذريا يستكشف اللغة الشعرية و يستقصيها ، وافتتاح أفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية ،و ابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل ، و شرط هذا كله الصدور عن نظرة شخصية فريدة للإنسان و الكون [2] و يتضح من هذا التعريف أن أدونيس يقتصر هذا على المجال الأدبي لان الفن أعم و أشمل فهو إنتاج للجمال و موهبة إبداع نميز بها الكائن البشري و الفن أنواع منه التشكيلي كالرسم و الصوتي كالموسيقى و الحركي كالرقص و أدونيس نفسه حين يتحدث عن الفن يقول انه نظر معرفي يصغي إلى العالم فيما يخلق صورة جديدة له و هو إذا ، شـــمل الوجود كله ، و جمالية الوجود [3] ، إن الحداثة الفنية عند أدونيس ترتبط ارتباطا وثيقا و قبل كل شيء بنظرة المبدع أو الفنان الشخصية للإنسان و للكون ، و لا نبالغ إذ قلنا إن لا حديث عن الحداثة دون تحقق هذه النظرية ، لان قراءة أو تمييز نظرة المبدع لها يحيط به هي العامل المركزي في عملية الخلق ، بعد توفير هذا الشرط الأساسي يضع أدونيس مفهوم الحداثة الفنية على ثلاثة أعمدة لا تقوم إلا بوجودها و هي التساؤل الجذري ، افتتاح أفاق تجريبية جديدة ، ابتكار للتعبير.

أما التساؤل هو مفتاح الفكر عند أدونيس فكثيرا ما يلجأ إليه لإشارة قضية من القضايا المصيرية للمجتمع العربي ، انه منهج حياته إذ يقول " و الشـــيء الأخر الذي أثر هو التفكير القائلة " انه إذا كان هناك معلوم في العالم و مقابلته هناك مجهول ، فان المعرفة الحقيقية ليســـت معرفة المعلوم بل معرفة

[1] – أدونيس : الثابت و المتحول بحث في الإبداع و الإتباع عند العرب ، مصدر سابق. ص 6

[2] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ص 321

[3] – أدونيس : موسيقى الحوت الأزرق .ص304

المجهول ، و قد ســكنني هاجس المجهول منذ بداية الطفولة [1]، ولا تخوض المجاهيل إلا إذا كانت مفعمة هواجس التساؤلات و هذا التساؤل الجذري هو الذي يبحث في عمق الأشياء و يثير اللغة الشعرية ويستفزها و يفجر مكوناتها هذه اللغة الشــعرية التي تشــكل انزياحا على مســتوى اللغة العادية إنها خرق لقوانينها ومعاييرها "إنها ليست مجرد شاهد على الوجود ، و إنما هي كينونة متحركة و فعالية [2].

لتحقيق الحداثة الفنية يجب أن يفتح أفق التجارب الجديدة في الممارســة الكتابية ، كل تجربة جديدة تؤســس مولد تجربة مختلفة و تمهد الطريق لإنشــاء تجارب أخرى متميزة و هذا يعني انفتاحا على الكتابة الفنية و خلق للجهود و ما يتحر عنه من تكرار نفس التجارب و محاكاة أخرى " و نقصد بالتجربة الصورة الكاملة النفســية أو الكونية التي يصــورها الشــاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا يتم عن تعميق شعوره و إحساسه ، [3] و يمكن تعميم هذا التعريف على الكتابة الإبداعية بصفة عامة ، و ليس من الحين ميلاد تجربة إبداعية منفردة لان ذلك يتطلب الكثير من الجهد و المعاناة إضافة إلى توفر الموهبة الخاصة " تصــدر التجربة الشــعرية عن بواعث عدة شــديدة التقمص ، بحيث لا تتحدد ولا يبين منها عنصــر إلا متقبسا ببقية العناصر الأخرى و تعد الثقافة إلى حسب الموهبة عنصرا أساسيا لكل تجربة ، توفر لها الإدراك الممتد في تاريخ المعرفة الإنسانية و في تجارب الآخرين ، و تفتح أمامها أفاقا من الرؤى الخصبة التي ترى ما لا يرى ، ترى الوحدة في التعدد ، الكل في الأجزاء ، الروح في المادة ، التواصل في الانقطاع و الحياة في الموت"[4].

---

[1] – صقر أبو فخر : حوار مع أدونيس ،ص50

[2] – أدونيس :موسيقى الحوت الأزرق ، ص25.

[3] – محمد غانمي هلال : النقد الأدبي الحديث .دار العودة ، بيروت .لبنان(د ط1973) ص383

[4] – إبراهيم رماني : الغموض في الشــعر العربي الحديث. منشــورات الثقافة الجزائرية ، الجزائر ، (د ،ط)2007 ، ص154-155

و أخيرا كي تحقق الحداثة الفنية لا بد من بروز طرق جديدة للتعبير تكون في مستوى التساؤلات المطروحة أي ترقى لصياغة الأجوبة المقنعة ، و التعبير بمفهومه الواسع هو تلك الحالة يستطيع من خلالها الإنسان الإعراب عن الحقائق التي تحتاج في نفسه و يراوح التعبير بين الإفصاح المباشر والرمزي و الإيحائي ، أما في المجال الفني يقتضي اللغة الجميلة المؤثرة ، و الكلام عن ابتكار طرق للتعبير يقضي إلى الكلام عن الأساليب المستحدثة التي يبتكرها المبدع و التي تميزه عن غيرة بل تصبح البصمة التي يضعها على بطاقة هويته الإبداعية ذلك" إن الأسلوب قد ارتبط أساسا بطرق متنوعة بالتعبير تحدها علاقات تركيبية لغوية و معجمية منظمة"[1].

و الحديث عن الأسلوب واسع و مشعب يعجز هذا المقام على احتوائه ، لكن يكفي هذا القول الى تلك الطريقة التي يستخدمها المبدع للتعبير عن ما يجول في ذهنه من أفكار و معان و ما يختلج في قلمه من مشاعر و أحاسيس ، و قد يرتبط المبدع بأسلوبه الخاص فيكشف عن نمط تفكيره و يصور شخصيته ويعكس أفكاره و مشاعره و صفاته و هذا ما يذكرنا بمقولة بيفون الشهيرة "الأسلوب هو الرجل " ، وبالعودة إلى تعريف أدونيس فان الحداثة تقتضي ابتكار أسلوب جديد أو طريقة تعبير على أن تكون في مستوى التساؤلات الجذرية المطروحة .

يمكن إعادة صياغة التعريف السابق كما يلي :الحداثة في الفن نظرة جديدة للكون و للإنسان يتمكن من خلالها المبدع أن :

- يؤسس لتساؤل جذري يفجر لغته الشعرية .
- يفتح أفاق جديدة في الممارسة الكتابية

[1] – محمد عبد المطلب : بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 1995 ،ص20

- يبتكر طرق للتعبير ترقى إلى مستوى التساؤل

تلك هي مستويات الحداثة لدى أدونيس و هو يرى إنها تشترك في ميزة أساسية هي أنها تمثل رؤيا جديدة تحمل في جهرها تساؤلا و احتجاجا " تساؤل حول الممكن ، و احتجاج على السائل فلحظة الحداثة هي لحظة التوتر أي التناقض و التصادم بين البنى السائدة في المجتمع ، وما تتطلبه حركته العميقة التعبيرية من البنى التي تستجيب لها و تتلائم معها [1] ، و معنى ذلك أيضا الحداثة في جميع مستوياته تسعى إلى تغيير الوضع السائد إلى ما تراه وضعا أفضل ، لكنها تختلق و بخاصة في حداثة أي في حالة تجسيدها لرؤاها الجديدة على ارض الواقع فالحداثة في المستوى الأول و الثاني تهتم بتغيير الواقع مباشرة و هذا ما يجعلها تواجه صعوبات و معرفات و بذلك لا تصل إلى نهاياتها بسهولة بينما الحداثة الفنية لا تواجه نفس الصعوبات ذلك أن "مستوى الحداثة الفنية ، الذي لا يعني بتغيير الواقع إلى بشكل مدوار ، و لهذا ترى أن إمكان التغيير على هذا المستوى أسهل و أسرع ،و ليس من الضروري أن يرتبط ، عكسا أو طردا ، بالمستويين الأوليين"[2].

و يشير أدونيس إلى تلك المفارقة التي يعيشها المجتمع العربي ، فالحداثة على مستوى الشعر متقدمة على الحداثة العلمية و حداثة التغيرات الثورية و قد تظاهر أحيانا الحداثة الشعيرة عند الغرب التي تتأخر فيه عن الحداثة العلمية و حداثة التغيرات الثورية يقول" فليس في المجتمع العربي حداثة علمية ، وحداثة التغيرات الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية هامشة لم تلامس البنى العميقة ، لكن مع ذلك وتلك هي المفارقة ، هناك حداثة شعرية عربية ، و تبدو هذه المفارقة كبيرة حيث نلاحظ أن الحداثة الشعرية الغربية ، و من الطريف نلاحظ في هذا الصدد أن حداثة العلم في الغرب متقدمة على حداثة الشعر ،

[1] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، ص321

[2] – المصدر نفسه . ص 321

بينما ترى على العكس ، إن حداثة الشـــعر في المجتمع العربي متقدة على الحداثة العلمية الثورية [1]، والحقيقة أن أدونيس نفســـه قد أعطى تفســـيرا لهذه المفارقة فالحداثة الفنية لا تتطلب الجهد و الحركة الواسعة في المجتمع كي تحقق تقدما عكس الحداثة العلمية الثورية ، فالحداثة الفنية و الشعرية بخاصة لا تحتاج إلى عمل مؤسساتي كبير بل تقوم في اغلب الأحيان على مواد فردية و جهود شخصية أو فتوية و معنى ذلك أنك قد تجد أعظم شـــاعر في أكثر دول العلم تخلفا ثم أن هناك إشـــكالا كبيرا في الحكم الذي أصـدره أدونيس حول الحداثة الشـعرية العربية في مضـاهاتها الغربية فهو حكم شـخصـي قد لا يكون محل إجماع ، بل قد تعارضـه الغالبية من النقاد العرب؟ بالعودة إلى مصـطلح الحداثة عند أدونيس تجد إن هذا المصـطلح ترد مفردة في تراكيب يبتكرها لتتحول إلى مصـطلحات خاصـة يكسـبها مفاهيمها انطلاقا من رؤيته الشـــخصـــية و هي الحداثة التلفيقية ، الأزيائية ، الحداثة المضـــمرة ، الحداثة الســـائدة ، الحداثة الظاهرية والحداثة العميقة ، الاستحداث السلفي.

و عن ما يسـميها الحداثة التلفيقية الأزيائية يقول أن هذا الشـكل من الحداثة فرضـته عوامل على رأســـها بنية الفكر العربي الذي يســـود في واقعنا العربي ، هذا الفكر يتناقض جذريا مع الحداثة كما يراها أدونيس ، لأن هذا الفكر يحارب أي تحول في المجتمع ،يدعمه في ذلك النظام السياسـي السـائد الحريص على اسـتمراريتها و العامل الثاني هو اتصـال العرب في هذا الوضـع الفكري المهيمن بالغرب و بحداثته على وجه الخصـوص ، إن الحداثة التلفيقية الأزيائية " تتمثل على الصـعيد الحياتي –العلمي ، في اسـتراد الموضوعات الحديثة من كل نوع ، و تتمثل على الصـعيد الشـعري– و الفكري بعامة ، في اقتباس أشـكال من التعبير ترتبط بلغات تختلف ، بخصـوصـيتها و عبقريتها اختلافا جوهريا عن خصـوصـية اللغة العربية و عبقريتها [2].

[1] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، مصدر سابق . ص 322

[2] – أدونيس : الشعرية العربية ، ص92

و يتضـح أن أدونيس يعني حداثة الاسـتهلاك لحداثة الإنتاج، ففي الجانب الحياتي العملي هناك تحديث محض مستورد من الغرب يتمثل في المنتجات المصنعة و الأساليب و الطرق الجاهزة ...الخ، أما في الجانب الشـعري فقد يؤثر الشـعراء العرب بنظرائهم في الغرب لكنه تأثير سـطحي تمثلا أسـاسـا في اقتباس أشـكل من التعبير و صـياغتها باللغة العربية دون مراعاة للفوارق الكبيرة بين الثقافتين و بخاصـة بين اللغة العربية واللغات الأوروبية، و بها فقط هذا النوع من الحداثة عنصـر الإبداع و الرؤية الخاصـة ومغامرة الكشف المستمر عن المجهول.

هناك نوع أخر من الحداثة أطلق عليه أدونيس مصـطلح " الاسـتحداث السـلفي " و هي نوع يرتد إلى الماضـي و تستند إلى بنية مرجعية–نصية للفكر العربي سادت في الماضـي و تسود في الحاضر، و هي تعطي الأولوية لنص مرجع و معيار أسـاسـي (النص النموذجي)، يعرف أدونيس " الاسـتحداث السـلفي" بأنه النزعة التي، تحاول بشـكلها الديني، أن تقرأ الحاضـر اسـتنادا إلى نص–مرجع ، و تحاول بشـكلها العلماني، أن تقرأه كذلك اسـتنادا إلى نص–مرجع، في الحالة الأولى، يبين الحاضـر على أسـاس الماضـي، وفاقا للنص و في الحالة الثانية، يعاد تشـكيل الماضـي، بحيث تتلائم"صـورته"مع صـورة الحاضر،كما يرسمها النص [1] ، في الحالة تعتمد الرؤية الماضوية كسلطة تحكو و تسير الحاضر، ففي الحالة الأولى يبلغ الماضي درجة من الكمال تعصمه من النقد و التحليل و الكشف مما يجعل الحاضر لا يستفيد من سمات هذا الكم ليضيء بها الطريق إلى المستقبل، أما في الحالة الثانية فان الماضي " تضمن كما في ما يتحدث به الحاضـر: القومية، و الثورة، و الوحدة الاشـتراكية، و المادية، و الطبقية...الخ، والخلل هو عدم العودة إلى هذه "الجذور" و هذه الأصالة[2]، و في الحالتين لم يفهم الماضـي كمجموعة من الاختبارات البشـرية في فضـاء من حرية البحث المعرفي و النقد لإبراز جوهر الإبداع و بعيدا عن أي

[1] – أدونيس : كلام البدايات، ص 156

[2] – أدونيس : كلام البدايات ، مصدر سابق، ص 157

نمذجة، بل احتضنه الحاضر كفضاء كمي و انتقل الماضي كما يعبر أدونيس من أسطورية مغلقة إلى أسطورية مغلقة " و هناك حالتين " خوف من الواقع، فهو متصدع ، متنافي، غامض، يحيد و يقلق ويفلت باستمرار من محاولة القبض عليه معرفيا، هذا الواقع المخيف لا يجابه بالكشف و النقد و التحليل بل يحجب بالاستيهامات الايديولوجية كي ينتقل إلى خير من الشعارات و الأجوبة الجاهزة المجلوبة دون أن تنفتح أفاق للتساؤلات و للاجتهادات التي تكثف عن المشكلات الحقيقية و عن حلولها، يميز أدونيس بين نوعين من الحداثة، حداثة ظاهرية سياسية و حداثة عميقة " بمعنى بناء الإنسان و حياته بناء كاملا وكليا"[1].

يحاول أدونيس انطلاقا من وصفه للشعراء الذين يمثلون كل نوع من إبراز مفهوم كل مفهوم كل نوع، فعن شعراء الحداثة الظاهرية يقول" يضيعون في وهم التحركات و الانجازات الصغيرة لذلك يسقطون في التفاؤلية السطحية للالتقاء بالذات و يصبح شعرهم نوعا من الامتداح و التبشير و هم في هذا يضيفون إلى حالة الاستلاب الأصلية حالة أخرى أشد خطورة، هي حالة التوهم بأنهم تجاوزا الاستلاب و مثل هذه الحالة تنقلب إلى كذب شامل : على الذات و على الواقع و على المستقبل [2] ، إنهم يمثلون حداثة سياسية و عادة ما تقترن السياسة بالكذب و النفاق و تغيير المواقف و لذلك فهم يمارسون الكذب على أنفسهم حيث يتوهمون أنهم يكتبون شعرا حديثا و يكذبون على الواقع حين يمتدحون انجازات خاوية جوفاء لا تمت إلى الحداثة إلا بصلة خارجية سطحية و على المستقبل حين يعتبر ما أنجز دليلا على التقدم و الحرية والنمو....إنهم يضعون القارئ داخل نفسه أي ضمن استيلابه لا ينطلق خارجها انه شكل من أشكال التخدير أو السكر و إرساء التقليد السائد و هم يستخدمون لغة مشحونة بأفكار و مشاعر يفرزها الاغتراب ، أما شعراء الحداثة "فان شعرهم يستلب القارئ العربي من استيلابه ومن هنا صعوبته المؤقتة، و انفعاله

[1] – أدونيس : فاتحة النهايات القرن ، ص 251

[2] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن، ص 251

المؤقت عن الجمهور[1] ، أنهم يقتلعون القارئ من نفسه و بذلك يضعونه خارج استيلابه فيها نفسه في حالة من القلق و الحيرة و عدم التوازن لعدم انسجامه معهم و ذلك لتعوده على نوع من الشعر ساد طويلا ، لكن هذا الأمر لن يطول انه إن صح التعبير حالة انتقالية لا مفر منها، و هذا دائما وفق للرؤية الأدونيسية يشير أدونيس إلى نوع أخر من الحداثة يسميها"الحداثة المضمرة" و التي تقابل الحداثة السائدة و الحداثة المضمرة هي تلك الحداثة التي أسسها كما يقول أسلافنا الهامشيون في القرنين التاسع و العاشر و هم فئة شملت الشعراء و الفلاسفة و المتصوفة....الخ و تسمية الهاميشين تعني أنهم كانوا يعيشون على هامش المجتمع و اهتمامه ويسبحون عادة هذا التيار الشامل للمجتمع بآرائهم الاستثنائية و إبداعاتهم المتفردة، لقد شكلوا استثناء بفضل المبادئ نحاول استعادتها على عصرنا الحالي، لأننا لم نستطع تأسيس حداثة خاصة بناء يقول" و الحق أننا نحن العرب اليوم ، لا تخلق حداثتنا الخاصة في القرن العشرين بقدر ما نستعيد قليلا أو كثيرا مبادئ الحداثة التي خلقها بعض أسلافنا الهامشيين في القرنين التاسع و العاشر و هي تتمثل في ما سميته ب " الحداثة" المضمرة[2] .

أما الحداثة السائدة فيسميها أدونيس دون أن يعطي مفهوما لها، و حسب السياق فهي التي تقابل الحداثة المضمرة أي حداثة سطحية أو زائفة، و ما يجب الإشارة إليه هو أن أدونيس يتحدث عن بعض الفلاسفة و المتصوفة و الشعراء و المعارضين للحكم السائد آنذاك و هؤلاء تختلف حولهم و جهات النظر، فإذا كان أدونيس يعتبرهم من مؤسسي الحداثة العربية المتقدمة، فإذا بعض الآراء ترى فيهم زنادفة و مارقين عن الإسلام تلك أشكال من الحداثة عرضها أدونيس، و أول ما يلفت النظر عند نحث مفهوم الحداثة عنده، هو كثرة التعاريف و تنوعها و تناقضها في بعض الأحيان، و ذلك يدل على أن الحداثة كانت الهاجس الأول و ربما الوحيد في الفكر الأدونيسي و عن مفهوم الحداثة عند أدونيس يقول (حسن

[1] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، ص 251

[2] – أدونيس : النص القراني و أفاق الكتابة ، ص 115

المصـــطفى) " إن الحداثة لدى أدونيس تعتبر مفهوما متبدلا متحركا أي أنها ليســـت ذات طبيعة واحدة سـاكنة بل تمتاز بأنها تواكب التطور التاريخي و الموضـوعي، في أن معا و هذا ما يجعل بعض الأحيان الرؤيا ضـبابية اتجاهها، و قد تكون متناقضــة أحيانا و قد عرف أدونيس الحداثة بعبارات شـتى و عديدة، طوال مداه الزمني و الفكري[1]"

عدم الاســـتقرار هذا اســـتغله البعض لاتهام(أدونيس) بعدم القدرة العلمية على تحديد دقيق للمصطلحات و قيم عن ضعف و قلق إزاءها، لكن هذا الحراك الذي اتسم بدل الخطاب الأدونيسي بعامة يعتبره (حسن المصطفى) سمة ايجابية تؤشر على تمكن هذا الخطاب من مواكبة المستجدات و تجديد بنائه، يقول " حسن مصطفى" في هذا الشأن هناك ميزة أساسية في الخطاب الأدونيسي و هي الحراك الدائم و عدم الثبات و التبدل المستمر، الذي يكشف عن خلق السؤال و قلق المعرفة ، كما يكشف عن حيوية الخطاب و ديناميكية، و عدم جموده و قدرته على التجدد و المواكبة، و عدم استغراقه في ذاتية بل مواكبته المستمرة للآني و المستقبلي في ذات الوقت الذي يضرب فيه بجذوره في الأصل[2].

II) مفهوم الشعر عند أدونيس :

يعد أدونيس من بين الشعراء الأوائل الذين كان أهم الفضل الكثير في تطوير الشعر العربي من حيث الشـــكل و المضـــمون، و اللغة و قد وضـــع اســـتراتيجة محكمة كانت بمثابة الثروة العلمية للرؤية الشعرية عند أدونيس.

[1] – حسن مصطفى و آخرون : عبد الله القدامى و الممارسة النقدية و الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت–لبنان ط1، 2003، ص 185

[2] – المرجع نفسه، ص 181–182

و قد بلور هذه الرؤيا من التصـــور النظري إلى المســـتوى الفعلي، كما حدد الخطوات الإجرائية المناسـبة لتطبيق هذا المفهوم الشـعري الحديث على أرض الواقع، و هو يره بذلك أنه القصـيدة المعاصـرة ينبغي أن ترتفع إلى حدود الرؤيا الكونية الخالصة، و أن الرؤيا تلعب دورا أساسيا في الحالة الشعرية و أن مهمة الشـعر الأسـاسـية هي الكشـف عن الأسـرار و إيجاد حالة شـعورية تطفو فوق التناقضـات و هذا من أجل بغية إعادة الذات القارئة بكل ما تحمله من خصـــوصـــيات تاريخية و معرفية و حضـــارية، ثم أن أدونيس كان يدعو دائما إلى استخدام و توظيف الأسطورة و الرمز في الصوفية.

إن اللغة الصـوفية هي تحديدا لغة شـعرية و أن شـعرية هذه اللغة تتمثل في أن كل شـيء يبدو رمزا، كل شـيء فيها هو ذاته و شـيء أخر، أو الله أنها صـورة الكون و تجلياته، و يمكن أن يقال الشـيء نفسـه عن السـماء و الله أو الأرض، فالاسـتياء و في الرؤيا الصـوفية، الشـيء هو ذاته لا غير هذه اللغة تخلق به الصـــوفية من العالم، تتكون فيه مخلوقاته، تولد و تنمو تذهب و تجيء تخمد و تلتهب في هذا العالم تتعلم الأزمة في حاضر حي[1]"

و من خلال هذا القول نرى أن أدونيس يؤمن بالرؤيا الصـوفية تجلياتها ، ثم يسـعى إلى توظيفها في أعمالها الشـعرية و ينظر لذلك و يدعو الشـعراء المعاصـرين أي تباع هذا المذهب لتعامله مع قصـائده و هذه الإستعادات لشخصيات التراثية في شعره و المصطلحات الصوفية هي التي بغت فهم شعر أدونيس لدى القارئ العربي ، و هذا في واقع الأمور راجع إلى المرتكزات الثقافة القريبة التي تسـع بها الشـاعر ، فهو قد امتلك منهجا غريبا سـاعده على تسـلق درجة الحداثة النقدية ، و احتلال مكانة متقدمة فيها ، بغض النظر إذا كان هذا المنهج ملائما أو غير ملائم لواقعنا و خصـوصـيات أعمالنا الشـعرية و الانفتاح على الثقافة الغربية ، أمرا مشروعا ، و خاصية ملحة بقرضها الخصاص الذي تعاني منه في هذا المجال

[1] – أدونيس : الصوفية و السوريالية ، باب الساقي ، بيروت ، ط1 ،1992 ، ص40

فلا اقل من تقنية و ضبط شروطه ، لتحصين الممارسة الشعرية و جعلها أكثر عالية مما هي عليه في السابق.

و انه أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هي تأصيل هذه المناهج الغربية المستعملة في محاولة لجعلها ملائمة بخصوصية الواقع العربي ، من خاصتي المواصفات الإبداعية و الفكرية المتميزة لما فيه مصلحة للحركة الثقافية العربية بوجه عام ، و أن الاستفادة الحقيقية و الفعالة من هذه المناهج المستورة "لا تكون بنقلها و تكرارها أو بوضعها قيد الاستعمال في سوق النقد الأدبي العربي ، بل إعادة إنتاجها بالتسهيل على النص الأدبي العربي[1]"

ومن خلا هذا يتضح لنا إن أدونيس اتبع هذا المنهج الغربي بكل معطياته ، وجعله منهم خاصا به. حيث كتب أصول الشعر و نظرياته ، و قضاياه أكثر من نظم الشعر ، و يمكن أن يؤكد انه كان منظرا للشعر و لقضاياه أكثر من نظمه للشعر فهو يرى انه ليس كل حديث جديد.

فمعيار الجديد يكون في الإبداع و التجاوز ثم دلالة تجديد الأولى في الشعر هي طاقة التغيير التي يمارسها بالنسبة إلى ما قبله و ما بعد ، إلى طاقة الخروج الماضي من جهة و طاقة احتضان المستقبل من جهة ثانية[1] ينظر أدونيس إلى التجديد في الشعر نظر قواعدية و شاملة يقول في هذا .

"فالشعر الجديد تجربة شاملة معقدة ، جديدة و هو ككل تجربة يحتاج في فهمه إلى الايجابية و إلى التعاطف ، و نفهمها ثانيا بان تلخص وعينا و عقليتنا من الأمور التالية[2] :

1- السلفية : فالعقلية السائدة في المجتمع العربي عقلية سلفية ينبع مثلها الأعلى من المستقبل

[1] – محمد عابد الجابري ، التراث و مشكلة المنهج ، وشورات توبقال ، ط1 1986 ، ص85

[2] – أدونيس : كلام البدايات، ص 156

2- النموذجية : و اعني بها الكمال الشعري من وجهة نظر العقلية السائدة ، كانت سابقا التراث الشعري العربي ، و على الشعراء في المستقبل ينسجموا على منواله ، فليس المتوفر للشعراء كما يقول ابن قتيبة ، انه يخرج على مذهب المتقدمين

3- الشكلية : تتعلق بالنموذج أدى إلى التعلق بالشكل أليس الشاعر من وجهة نظر العقلية السائدة ، رؤيا بل صناعة ألفاظ الشعر العربي من هذه الناحية ، لا يتبع من كيفية رؤيا العالم و خلقه ، بل من كيفية رؤيته و صنعه

4- جزئية : فلا تنظر العقلية السائدة إلى القصيدة ككل بل تنظر إليها كأجزاء من فصيلة مستقلة

5- غنائية فردية : فقد درجة النائية السائدة في مجتمعنا العربي ، على فهم "أو تذوق الشعر العربي الذي هو غنائي في مجمله ، إذ يعكس انفعال الشاعر كفرد ، أو أوضاعه الاجتماعية كفرد

6- التكرار : الثقافة العربية ثقافة إعادة و تكرار أنها تدور ضمن عالم مغلق محدد قبليا لا حركة فيه ، لهذه الثقافة حقائق أبدية أزلية ، لا يجوز تحطيمها [1].

و من خلال هذه التنظيرات التي جاء بها أدونيس نستطيع أن نؤكد أن أدونيس ليس شاعر مبدعا و فقط بل هو منظر و فاقد استخدم للنظريات و المناهج النقدية ، بمنظور عقلاني مما أضفى كثيرا عليها طابع العقلية و الدقة و الجدية في تناوله هذه التنظيرات الشعرية التي يطبع عليها السمة الغربية في كثير من المواقف بكل ما تحمله هذه السمة من خصال حضارية و فكرية متميزة، بدل الاقتصار على استردادها و استهلاكها و فقط"ذلك أنه إذ كنا نعاني اليوم من كثير من مظاهر الاستلاب إزاء القرب ، فلأننا نأخذ من النتائج و الثمرات و نعرض عن المبادئ و الأسس، نستورد منه لنستهلك و ليس لنغرس نستبت و من دون شك فإن النجاح في عملية الغرس و الاستبيان يتوقف على إعداد التربية الصالحة و التربية الصالحة

[1] – أدونيس : كلام البدايات، ص 157

لا ستوراد [1] ، ثم من هذه الخصوصية التي يمتاز بها أدونيس تتجسد في حضوره في المتن الشعري المعاصر، و في الميدان الثقافي العربي بعامة، انه قلق ، يمعن على المستوى النتاج الشعري، في إبداع الضرر و الأشكال في اختراق حدود التصرف و حدود جنسه الأدبي المعاصر ، و حدود ما سبق من نتائجه و أما على المستوى الثقافي لقد كان قطبا من أقطاب المجال الدائر ول القضايا الثقافية و الإنسانية و الاجتماعية[2]و الثقافية ، ومن خلال هذا القول نجد أن هذا دليلا قاطعا على درجة الانفتاح القصوى التي تميز بها أدونيس على الثقافات الغربية و من بينها طبعا تنظيره للشعر الذي أعاله كثيرا استفادته من التجارب و الخبرات المعرفية للثقافة الغربية باعتبارها تشكل تراثا إنسانيا عاما لا حق لأحد في فرض وصايته المطلقة عليه ، علي عان تلك المناهج العلمية ملك مشاعر، و انجاز إنساني للجميع و لعل م لم يفهم في تشيلها أشاد خاصة عليها مما توفرت لديه العوامل لانضاجها و بلورتها[3].

و من هنا تبرز أهمية الانفتاح على الثقافة الغربية و لكن وفق إستراتيجية مضبوطة و محددة من شانها مراقبة هذه العملية، و مساعدتنا على تجاوز سلبياتنا و توفير شروط الاستفادة منها ، استعادة حقيقية تحفظ هويتها و كياننا ، و تبعدنا على التبعية و استيلاب هويتنا التي يجب أن نحافظ عليها محافظتنا تامة و لا ينصهر تماما في هذه الثقافة الغربية ثم إن التهافت الأعمى على هذه الثقافات الغربية قد تجرنا و تلحق بنا الضرر ، ما لم ترفق عملية توظيفها بشروط محددة و هذا في ايطار إستراتيجية واضحة و مضبوطة و من بين هذه الإستراتيجية إعطاء قيمة للمسافة التاريخية و الحضارية بين البيئتين فكل بيئة مهما حاول التقارب بينهما تقاليدها و خصوصياتها المصرفية و الثقافية ، علما بأن[1] كما يجمع في هذه المذاهب هوة كونهت وليدة حضارة غربية ، عن تاريخنا و حضاراتنا في مساراتنا الطويلة عبر

[1] – محمد عابد الجابري، التراث و مشلة المنهج ص24

[2] – نسيمة درويش، مسار التحولات، قرأة في شعر أدونيس، دار الأدب بيروت، د.ط.د.ت،ص15

[3] – صلاح فضل نظرية في النقد الأدبي ، مكتبة ،الأنجلو مصرية، ط 1980.

تفاعلات عدة ، و مهما يقال عن عملية بعض هذه المناهج ، وعدم اتســـامهت بناءا على ذلك بطابع حضاري خاص ، فأنها تخفي إما اديولوجية لا يمكن إنكارها [1].

و هذا ما يؤكد مقالة " كي تنفتح لا بد أن تكون أولى"[2]

و كما قال الحكيم الهندي طهور" إني على اســتقرار لأن أن افتح نوافذي في وجه جميع الريا لكن شريطة أن تختفي هذه الرياح من مكاني "[3]

و لكن رغم هذا فان أدونيس رأى في الضـرورة لانفتاح على الغرب للاسـتفادة من منجزاته العلمية الرائدة في المجال النظري للأدب شـــعراء و نثر و توظيف هذه المعارف النقدية بمفهومه الأدب بشـــكل عقلاني على نصـوصـنا الشـعرية و النثرية فالحداثة الحقيقية لا تعني بالضـرورة إضـاعة للكيان، و إذابة الذات في الأخذ و لكن تتطلب المحافظة على كياننا و ذاتنا، هنا يمكن أن يكون لنا تميزا على الأخذ وحتى لا تساق في تيار العصر الهادر و نحن "لسنا ننكر مبدئنا هذا النزوح للحاثة و هذا الشوق الجامع إلى الانخراط في الأزمة الحديثة والانسياق مع خيار العصر الهادر، فذلك دليل على حيوية الفكر العربي وظيفته بالقوالب الجاهزة لكن الطقوس و الأشكال التي مورست ضد الحداثة في كثير من الحالات تطح جملة من التحفظات و التساؤلات، و تدعو إلى إعادة النظر في مقولة الحداثة لأجل تصميمها و ترشيده"[4]

و من هذا المنطق فان أدونيس يرى الشعر خروجا عن المألوف العادي.

---

[1] – نجيب العوني ، ظواهر نصية الدار البيضاء،ط 1 ، 1992 ص 12.

[2] – عبد السلام شقور، أولويات الفكر الأدبي المغرب ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، وجدة المملكة المغربية ط 1 1988 ص 25

[3] – عبد الكريم غلاب ، حوار مجلة آفاق مغربي ، العدد2، 1991 ص 13.

[4] – نجيب الصوفي، مساءلة الحداثة، منشورات الشراع، ط 5، 1996، طنجة المغرب ص 12

و النصـــاب إلى أبعد من ذلك فالثابت عند أدونيس هو التقليد و البقاء على المنوال القديم و أن الشـــعر يجب أن يســـاير المجتمع الذي هو فيه من تغيرات ي بنية المجتمع، أما المتحول فهو الإبداع والخروج عن السلطة و معارضـتها من الداخل سـياسـيا و فكريا و اجتماعيا و فنيا و هذا الذي أكد عليه أدونيس" أن ما يلفت الانتباه في تاريخ أدونيس للحداثة العربية هو التعميم مصـطلح و تجريده من حمولاته التاريخية الحديثة. ولإسقاطه على تمايزات تتصل بجدية القديم و الحديث في سياقات مغايرة تماما للسياق المعاصـر[1]" ثم أن أدونيس في مفهومه للشـعر حاول أن يحلل سـيرورة للشـعر العربي من الصـنعة إلى الحداثة.

و يؤكد في طرحه هذا المفهوم كل المعطيات الثقافية و المثلية، النقدية و التواصـل ثم يصـل إلى إنتاج منها.

1/ أنه تحقق الشـعر بتحقيق لغة تختلف من اللغة القاموسـية و التراثية و اسـتعمالها المألوفة" من الممكن أن يكون الشـــعر متقدما في مجتمع ذي بنية تحتية متخلفة أو أن يكون متخلفا في المجتمع ذو البنية المتقدمة[2]"

و ذلك لأن جذور الشـعر العميقة تمتد لتربط برؤية فكرية تشـكل قاعدته المعرفية التي بدونها يفقد الشـعر كل قوته و فاعليته، ليتحول في الأخير لجملة خطوات إجرائية باهتة و فاقدة لكل حياة، من شـأنها الإساءة للشعر و إبعاده عن هدفه الصحيح فالشعر في نظر أدونيس رؤيا و فكر و منهج" و الرؤيا تؤطر المنهج و تحدد له آفاقه و إبعاده ، و المنهج يعني الرؤيا و يصححها له[3]" و الشعر تنتج عنه رؤيا و يتولد

[1] – محمد برادة اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، ج1 1984ص6..

[2] – المرجع السابق ص 20

[3] – محمد عابد الجابري، نحن و التراث، منشورات المركز الثقافي العربي، ط 5 1986 ص 26

كمثل للهدف من المعرفة، و الشـاعر " هو الذي يعبر عن حقيقة عصـرنا هو شـاعر الانقطاع عما هو سائد"[1]

و من خلال تتبع أدونيس لماهية الشـعر و مفهومه، و إسـقاط الحداثة الفرعية عبيه بين حمولاتها نجده يلص إلى نتيجة هي الشـرق اليوم هو مفتاح التجربة الشـعرية بامتياز التطلع إلى المطلق، و التطلع إلى المجهول، التعبير عما لا يعبر عنه و من هنا يمكن القول انه إذا كان في ما يحد للشرق نصيا ، فان الشرق ما بعبارة أخرى، إن الشرق يتقدم في معرفة الذات و أن الفرق يتقدم في معرفة الشيء[2].

إن كيان التحول إلى مستوى النص الشعري ننظر إلى القصيدة أنها تجربة خيرها الرؤيا و الحدس و الدلالة، " أ، القصيدة الجديدة قصيدة حركة مقابل القصيدة القديمة التي هي قصيدة ثبات و مقاومة ومن هنا لا نهاية الخلق الشـعري [3] " و يؤسـر أدونيس الأصـول المرجعية التي اعتمدت عليها الحركة الشـعرية في الخطوات التالية :

- التمرد على الذهنية التقليدية الذي اتبعه الشعراء القدامى و الخروج عن المألوف الشعري.
- إن التقليد لا تتلائم مع التجديد في نظر أدونيس.
- يتجاوز المفهومية السائدة للشعر العربي القديم بما فيه من قيم الثبات و أشكاله.
- تجاوز المفهوم الذي يرى أن الشعر العربي القديم نموذجا لكل شعر لا يأتي بعده[4].

[1] – سامي مهدي، أفق الحداثة، و حداثة النمط، دار الشؤون الثقافية العامية، بغداد 1983، ص 184

[2] – أدونيس نص الشعر، ص 38

[3] – أدونيس نص الشعر، ص 15

[4] – أدونيس فاتحة لنهايات القرن، ط1، دار العودة بيروت، 1980 ص 335

و عليه فالشعر الحديث تجربة شخصية نابعة عن تجارب الإنسان الحديث، الذي يرى أمورا بغير العين التي كان يراه سلفه من الشعراء القدامى، و التعبير عنها بالتعمير هذا المجتمع و بلغته الخاصة التي كليا عن اللغة القديمة، فالشعر الحديث تحدده "ميتافيزيقية مناجئه، و عليه أن يقدم من خلال قصيدة قصيرة، رؤيا عن العالم و يمر الكائن الحي و الجامد"[1].

و أدونيس ما ناحية دراسته للمفاهيم الشعرية يحرص على تحرير القصيدة الحديثة من سلطة القبيلة بل الذهاب بها تقييدا على رؤيا العالم بعين مغايرة تماما للعين التي كان ينظر بها الشاعر القديم، انها رؤيا لعالم جديد، عالم يختلف كل الاختلاف عن عالم الشاعر القديم في مكوناته الثقافية و الاجتماعية والسياسية و الثقافية و التحدر حتى من النظام القديم من حيث الشكل و المعنى.

"لن نسكت في أي شكل و هي جاهدة في التهرب من كل أنواع الإنحباس في أوزان و ايقامات حيث يتاح لها أن توفي بشكل أشمل بجوهر فنموج لا يدري مطلق إدراكا كليا و نهائيا جوهر عصرنا الحاضر جوهر الإنسان"[2].

و من خلال هذه النظرة الجديدة التي دعا إليها أدونيس في تعريفه للشعر الحديث فقد أصر على أن يكون الشعر الحديث، مهتما بالكشف عن عيوب الشخصية العربية و فقد هذه العيوب و التخلص منها، وهذا ما يظهر في شعره و لو بطريقة رمزية تارة و تارة أخرى باستدعاء الشخصيات التراثية، و التي تدعو في الحرية و الانطلاق نحو مستقبل زاهر.

[1] – إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 158

[2] – أدونيس زمن الشعر، ص 14

و أدونيس مســـكون بالحرية، و هو لا يرى حلا للمجتمع العربي إلا بتوفر هذه الحرية، فالحرية هي الركيزة الأساسية للتقدم و النهوض بالمجتمع العربي إلى مصاف الأمم العظمى و أدونيس يحول قصائده إلى صدمة يدعو فيها إلى تجسيد الحرية و إعطائها مكانتها اللائقة و الشعر في نظره ليس طريقة للتعبير فقط و إنما هو وجود و طريقة وجود، و الشعر عنده نوع من الوحدة و الشعر هو رئة العالم و الشعر لا يوصف و لا يمدد، "شكل القصيدة الجديدة الذي هو وحدتها العضوية، هو واقعيتها الترفية التي لا يمكن تفكيكها قبل أن يكون إيقاعا و وزنا و يدعو إلى تجاوز المفهوم القائل للوزن و القافية معا هما وحدة القصيدة و شكلها المتميز، هذه الوحدة العضوية لا تقيم بشكل تجريدي، لأننا حين نفصلها في القصيدة تصبح وهما"[1]. و اذا كانت القصيدة القديمة قصيدة ثبات مبنية على أطر شكلية و موضوعية متعارف عليها، و لا يمكن التنصل منها، فالقصيدة الحديثة هي قصيدة شكل المفتوح، و المنفتح و الشكل المتغير المتعدد لأنها قصيدة تعبر تعبيرا صحيحا عن ظاهرها و باطنها و في هذه الحالة كل نص جديد يكسر النص القديم فيصبح ما لدينا، لا مجرد عدد النصوص و يمكن اختصارها في نموذج بل سلسلة من النصوص المتولدة، المتداولة داخليا غير القابلة للاختصار في النموذج[2]. و لهذا أصبحت الرمزية و الرؤيا و الحدس هي محور الشعرية عن أدونيس كما أن الدلالة اللغوية و الشعرية من مكونات القصيدة الحديثة بالإضافة إلى مكونات أخرى" استنادا للمفهوم الوضعي للغة، حددت الدلالة التي قسمها البلاغيون إلى ثلاثة أنواع:" دلالة المطابقة، دلالة التضمين، دلالة الالتزام[3]".

[1] – ادونيس المرجع السابق،ص140

[2] – المرجع نفسه ص15

[3] – أدونيس زمن الشعر ص 15

إن إحساس الشاعر في زمننا هذا جعله يبحث عن اللغة التي تناسب اتجاهه و أغراضه و متطلباته ونظرته إلى الحياة غير النظرة التي كان ينظر إليها الشاعر القديم، فقد تميزت تجربة الشاعر الحداثي دمج لغة الكلام اليومي في قصيدته، و هذا التكوين أداة طبيعة للتعبير عن الحياة اليومية بكل تعقيد أنها ، و لعل للدعوة إلى توظيف المفردات الحياة اليومية في النص الشعري " كانت إحدى معطيات الحركة الرومانسية التي تمردت على اللغة الأرسطوقراطية المرتبطة بطبقة النبلاء، إذا دعا كولدرج" إلى أن تكون اللغة المأخوذة من أفواه الناس في الحقيقة هي لغة الشعر[1].

و هذا ما ذهب إليه أدونيس حينما تكلم عن القاموس اليومي للشعر فدعا إلى ضرورة التخلص من لغة القدامى إلى لغة خاصة يتميز بها الشاعر الحديث و يختلف عن غيره متبعا طريقة خاصة في توظيف الكلمات الشعرية التي تدل عن حياته اليومية،" اللغة ليست ملك للشاعر ليست لغته إلا بمقدار ما يعلمها من أثار غيره و يفرغها من ملك الين ابتكرها في الماضي، اللغة دائما تخص زمانا، بيئة اجتماعية إنما تجيء من الماضي حيث يأخذ الشاعر كما هي ، كما تجيئه لا يكتب بل ينسج اللغة الشعرية لا تتكلم لا حين تنفصل عما تخلص من تعبها ، تقتلع نفسها من نفسها فاللغة الشعرية هي دائما ابتداءا[2].

فاللغة عند أدونيس علاقة ثقافية ترتبط ارتباطا وثيقا بمفردات اللغة و مع ذلك كما يؤكد أحد المفكرين أن الشاعر لا يستطيع أن يكتب من فراغ بل لا بد أن تكون له معطيات ثقافية و اجتماعية و فكرية مسبقة[3].

[1] – كولدرج النظرية الرومانسية للشعر، ترجمة، عبد الحليم حسان، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1971 ص 27

[2] – أدونيس زمن الشعر، ص 78

[3] – يونس داود، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق

غير أن أدونيس في مفهومه للشـــعر يحاول أن يدعو إلى تجاوز المعاني القديمة إلى معان جديدة تواكب العصر الذي تعيش فيه و تكتب باللغة التي يمكن أن يفهم عامة الناس.

فالشــاعر بهذا يحاول أن يقول شــيئا لم تقله بطرق لم تألفها، فهو يتبادل و دوما و يبحث هو في ذلك يغير الرؤية السائدة للعالم عبر الشعر ، و من هنا ينحصر الدور التعبيري للشعر فيما يغير الشاعر اسـتقلال التعبير، تعيين طرق الإدراك و الرؤية في العلاقة بالأشـياء و الزمن[1] و اللغة الشـعرية في نظر أدونيس ، إن العلاقة الشاعر باللغة غير علاقة الشاعر العادي و إن كان الشاعر في نفس الوقت يستمد من هذه اللغة مادته الخام ثم يوظفها توظيفا جماليا و يصبح عليه روحه الرومانسية، فيصبح لغة غير لغة الكلام العادي إن اللغة الشـــعرية إذ لا نعبر عن علاقة ذاتية و هذه علامة احتمال و تخييل، و الأشـــياء فيها لا تتخذ إلى الوعي و إنما تنفذ إليه صـــورة احتمالية عنها و هكذا تكون اللغة الشـــعرية جوهريا لغة مجاز و لا حقيقية"[2].

و هكذا نظر أدونيس إلى الشـــعر نظرة جديدة بمفهوم جديد و بقيم جديدة، و أن المنهج الذي دعا إليه أدونيس في تعاطيه دراسة الشعر الربي من الثابت إلى المتغير فيه عن الثنائية التي تنظر إلى الشعر نظرة قواعدية، و تعتمد على المقاربة التي تربط القاهرة الشعرية بمكوناتها الفاعلة.

[1] – أدونيس، كلام البدايات، دار الأدب، ط 1989، ص 166

[2] – أدونيس، الثابت و المتحول، ج1 ، دار العودة، بيروت، ط1 1988، ص 111

من أهم خصائص الحداثة الأدونيسية :

1. التمرد و الثورة على النظام السائد و التقاليد بجميع أشكالها.
2. الاتصال بالتراث و الانفعال عنه في آن واحد
3. الاقتران بالاختلاف و التغير و الخروج على النمطية
4. إرساء مبدأ التساؤل و الاحتجاج5 . فتح آفاق جديدة للتجارب الإبداعية

من مقتضيات الحداثة الأدونيسية :

1. الكشف و المغامرة و القبول ...
2. تجاوز المفاهيم الموروثة.
3. معرفة معمقة للحاضر و الماضي
4. نفي و أبطال أوهام الحداثة في الشعر خاصة

أخيرا يختلف الكثير حول آراء أدونيس و مواقفه في جميع القضايا التي يطرحها ، لكن سيتفق أغلبهم أن مفهومه للحداثة لم يستند إلى فراغ و لم يتكأ على حجج واهية و لم يتأسس على شطحات فكرية، و أما تأسس انطلاقا من معرفة عميقة بالتراث العربي و اتصال واع بالحداثة الغربية و خبرة طويلة و اجتهاد فكري و تأمل متمعن و ممارسة تنظيرية و شعرية صادقة–و حسبه. حتى إن عارضنا مواقفه أنه آثار جدلا واسعا و حرك صخرة الفكر العربي و رمى حجرا في بحيرته الراكدة و فتح بابا واسعا لإعادة قراءة التراث العربي و بالتالي الأنا العربي قراءات مختلفة " الحداثة الأدونيسية (الرؤيا الميتافيزيقية)، الممارسة الشكلانية، نظرية النخبة هي خروج من دائرة التاريخية، الواقعية العربية، التي واجهت استلاب العصر باستلاب آخر، في الهروب نحو المجهول، و التلذذ بعواية التحول في مناخ غامض، و أحدثت خللا

صميما في بنية الحداثة العربية القائمة في واقعها على جملة ، إشكالات حقيقية و مارست جنايتها على " الذات الحضارية" بمحاولة قراءتها و كتابتها ضمن منظور استشرافي" اصطناعي[1]"

III).أوهام الحداثة:

1- وهم الزمنية : يرى أدونيس أنا بعض الشـــعراء يربطون الحداثة بالزمن الراهن و يعتبرونه الإطار المباشر الذي يحتضن حركة التغير و التقدم أو الانفصال عن الزمن القديم" و الواقع أن هذه نظرة شكلية تجريدية، تلحق النص الشـعري بالزمن، فتأكد على اللحظة الزمنية لا على النص بذاته، و على حضـور شخصية الشاعر، لا على حصور قوله و هي من هنا تؤكد على السطح لا على العمق و تتضمن القول بأفضلية النص الراهن إطلاقا على النص القديم[2]"

2- وهم المغايرة : يذهب أصحاب هذا القول إلى أن التغاير مع القديم، موضوعات و أشكالا، و من أراد دخول لعالم الحداثة الشـعرية أن إنتاج قصـيدة مختلفة من الشـكل و المضـمون هو السـبيل إلى دخول الحداثة" و ينتج عن هذا الوهم القول بآراء حول بنية القصـيدة، و حول الوزن و وحدته الإيقاعية، و حول مضـــمونها، تغاير أراء النقاد القدامى و يكفي الشـــاعر في منظورهذا الوهم أن يضـــع قصـــيدة تغاير بموضـوعاتها و شـكلها، القصـيدة الجاهلية أو العباسـية لكي يكون حديثا"[3] و معنى ما ذهب إليه هو أن الرؤيا السـابقة ما هي " إلا إعادة تفعيل الأضـداد و إنتاج النقيض فالنص القديم يجب أن يتجاوز بنص جديد يشمل التجاوز وجوبا المغايرة الشكلية و المضمونية معا، و لا نعثر في النص إلا على روح الهدم و التجاوز، في حين تستوجب الحداثة بعيدا عن الرؤيا الوهم السابقة تجاوزا يرتقبان مع التجربة الشعرية إلى

[1] – إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث ص 51

[2] – المرجع نفسه–ص 117

[3] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن. ص 214

درجة الحلق و هذه النظرة مغايرة و خاطئة لأنها قائمة عللا فكرة إنتاج النقيض و تجعل العلاقة القائمة بين الشعر القديم و التضاد معيار للحداثة، و هكذا تصبح هذه للشعر نموذجا يلقي بعضه بعضا و يجعله يختلف عن القديم و بالتالي هو أقل حداثة و يبطل معنى الشعر و الإبداع معا[1].

3-وهم المماثلة: و أصحابها يرون أن الغرب مصدر الحداثة بجل مستوياتها المادية و الفكرية و الفنية " لا تكون الحداثة خارج الغرب، إلا في التماثل معه و من هنا ينشأ وهم معياري تصبح فيه مقاييس الحداثة في الغرب، مقاييس للحداثة خارج الغرب"[2] و يربط أدونيس بين الشاعر العربي القديم الذي يماثل الموروث التقليدي القديم، و بين الشاعر العربي الحديث الذي أضحى يرى في الأخر الغربي نموذجا يجب محاكاته و هذا إقرار على تفوق الغرب الدائم و في جميع المستويات المختلفة، و المماثلة شكل من أشكال التقليد و تمثل أيضا الاستلاب الكامل إلى درجة الذوبان في الأخر إلى حد كبير يقول أدونيس " إلا تبدو المماثلة هنا استلابا كاملا أي ضياعا في الأخر حتى الذوبان ؟ و الحق أن شعر المماثلة مع الخارج المحتذى"[3] يربط بين الشـــاعر العربي القديم الذي ظل يماثل الموروث التقليدي القديم و يتخذ من ها نمطا ، و بين الشاعر العربي الحديث الذي أضحى يرى في الأخر الغربي نموذجا يجب محاكاته .

4-وهم التشـــكيل النثري : يرتبط بوهم المماثلة و المغايرة،" و يرى أصـــحابه أن مجرد الكتابة بالنثر من حيث أنها تختلف مع الكتابة الوزنية القديمة و تتمثل مع الكتابة النثرية في الغرب، دخول في الحداثة [4] فهم يعتقدون أن الخروج على نظم الوزن و القافية القديمين و الكتابة هو المســـار الذي يقودهم نحو عالم الحداثة ، وان مماثلة الغرب و نهج طريقهم ضمن آلية الزمن هو الذي يخلصهم من القيود التقليدية .

---

[1] – حبيب بو هرور : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس و نزار قباني ، ص 436

[2] – أدونيس : فاتحة لنهايات القرن. ص315

[3] – المرجع نفسه-ص 315

[4] – أدونيس : الشعرية العربية. ص94

5-وهم الاســـتحداث المضـــموني : أشـــار إليهم الكثير من النقاد ، و هو نوع جديد من الأنواع التقليدية العادية عن تناول القضـــايا مقاربتها و مقاربة رؤيوية خالقة لا تعتمد فيها الوصـــف الظاهر بطريقة أكثر مباشـرة من السـرد العادي ، فقد يتناول الشـاعر هذه الانجازات و هذه القضـايا برؤية تقليدية و مقارنة فنية تقليدية .

فالواضح أن هذه هي أهم الأوهام التي حكمت العقل العربي و جعلت رؤيته للحداثة قاصرة وجاهلة لحقيقتها ، إلا أن القليل من النقاد و الشـــعراء العرب المعاصـــرين الذين تمكنوا من فهم الحداثة بعد جهد وعمل دائم و مستمر و على رأسهم أدونيس.

الفصل الثالث

دراسة تحليلية لأهم أعمال أدونيس

الفصل الثالث: دراسة تحليلية لأهم أعمال أدونيس

ا).نبذة عن حياة أدونيس :

اسمه علي أحد سعيد اسبر [1]ولد في ام 1930م و جرى تسجيل ولادته في السجلات الرسمية السورية 1930/09/14 [2]في قرية قصابين ،قرية بسيطة و صغيرة ، تقع في الشمال السوري بجوار مدينة جبلة التاريخية في منطقة اللاذيقية ، أورد الشاعر اسمها مرات كثيرة في قصائده ولا سيما في ديوانه " مفرد بصيغة الجمع " . و نشأ في أسرة فلاحية رقيقة الحال تعاني من شظف الحالة الاقتصادية و لا غرابة في ذلك فقد كان الجهل و الفقر و المرض في سمات الحياة العامة في سوريا انا ذاك لأسباب كثيرة ليس السياق متسع للحديث عنها .

أبوه اسمه أحمد إن مزارع من عائلة فلاحية لكن مجتهد في حياته كان يعرف اللغة العربية عرفة شبه تامة و يعرف الشعر العربي معرفة جيدة ، و كان صاحب الثقافة الصوفية العالية ، و كان ينظم الشعر في موضوعات دينية و صوفية . و كان أيضا متعمقا في مسائل الدين و الفقه و لذلك تكريما له و اعترافا لمكانته شيخ ، يعني اجتمع الشيوخ آنذاك و منحوه لقب " الشيخ" و أمه حسناء الرياحي كانت أمية لكنها منحته حبا و دلالا و حنوا فائقا . و كان ابنهما الكبير بين إخوته و هم : محمد و حسن و حسين و

[1] – أما أدونيس فهو لقب اتخذه لنفسه منذ عام 1948 و اشتهر به بكل مكان حتى كاد معظم الناس ان ينسو اسمه الحقيقي كما حدث مع الشاعر الكبير محمد سليمان الأحمد (بدوى الجبل) و الأديب الاردني يعقوب العودات (اللبوي الملثم) و بشارة عبد الله (الأخطل الصغير) و سيأتي الذكر عنه في الفصل التالي.

[2] – صقر أبو فخر : حوار مع أدونيس الطفولة ، الشعر ، منفى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 2000 ص193

لبلى و فاطمة ، و ثروة أسـرته كانت بسـيطة بل الواقع انهمك انو لا يملكون شـيئا حتى ولا المنزل الذي كانو يقيمون به[1]

وفي هذا الجو البسـيط المتواضـع ، نشـأ أحد علي سـعيد ، و كان جزءا من الحقل و العمل مع الفلاحين منذ طفولته في الخامسـة أو السـادسـة من عمره ،لأنه منذ طفولته كان يعمل في الحقل ،يشـتل ويحصـد و يزرع و يشـارك أهله في قطاف الزيتون فشـب علي أحمد سـعيد واحد من الناس العاملين في الأرض ، لذلك لم يشـعر بطفولته كما يشـعر بها تلقائيا الأطفال غيره ، في ديوانه قصـائد أولى قد كتب " صلاة الى الضيعة "و " أحنية الى الطفولة " مشيرا الى ذكريات طفولته[2]

كان يقرا ويحفظ الكثير من سـور القران الكريم على يد أبيه الذي كان يميل بفطرته الى العلم والأدب والشـعر كما تعرف على نصـوص نثريه من كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب. كذلك حفظ عددا كبيرا من قصائد ومطولات الشعراء القدامى طرفه وامرؤ القيس والمتنبي والبحتري والمعري وأبو نواس والشريف الرضي و المكزون السنجاري ومنتجب الدين العاني وبدوي الجبل.

فعاش علي احمد سـعيد طفولته في بيئة أدبية خصـبة كان القران الكريم أهم أركانها وأبرز معالمها[3]هكذا تآلف قلبه وفكره مع اللغة القرآنية ومع الشعر العربي القديم وأشعار المتصوفين العلويين من بلاغة ومع فلسـفات الرواة من المتصـوفين مثل: الحلاج وابن عربي من جهة ثانية وهو يذكر نفسـه عن الطفولة كما قال:"وجدت نفسـي فجأة منكبا على درس العربية على يدي أبي أولا وأدرس أيضـا الشـعر العربي والشـعر العباسـي بشـكل خاص: المتنبي والشـريف الرضـي وأبو تمام وهي أسـماء أذكرها بشـكل

[1] – صقر أبو فخر : حوار مع أدونيس الطفولة ، الشعر ، منفى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 2000 ص 17

[2] – أنظر ديوان قصائد أولى لأدونيس ، دار الادب أ بيروت 1988

[3] – بواردي ، جاسبليوس حنا ، أدونيس و الهوية المصغرة نحو نص شعري ايديليو جي زيتونة 2005 ص45

خاص لأنني كنت أدرسها ليلا باستمرار خصوصا لأن أبي كان يطلب إلي تلاوة شعر هؤلاء عندما يفد عليه ضيوف. يعني أن قراءة الشعر كانت تسلية القوم الليلية، كنت متلبسا بدور الراوي للشعر العربي وهكذا رسخت في ذهني اللغة العربية واللغة الشعرية العربية و أذكر أنني كنت أعرف أو أمتلك أسرار الإعراب بكل تعقيداتها وآنا بعد فتى في الثانية عشرة من عمري[1].

وكان علي احمد سعيد يذهب الى كتاب القرية حيث كانت الدروس تعطى في خلاء الطبيعة تحت الشجرة لكي يتعلم القراءة والكتابة لكنه لم يستفد من الكتاب إلا في مسائل الخط والكتابة وكان يهرب من عصا المعلم أو من شيخ الكتاب الى البراري والحقول وهكذا حتى الثالثة عشرة من عمره لم يدخل في مدرسة نظامية وكانت أقرب مدرسة الى القرية تبعد مسافة طويلة لا يقدر طفل في سنه أن يجتازها مرتين يوميا وحتى هذه السن لم يشاهد سيارة ولم يعرف الراديو ولا الكهرباء وبالتالي لم يعرف المدينة. وفي هذه المرحلة بالذات أي عندما كان طالبا في الكتاب بدأ اهتمام أدونيس بالموروث الثقافي العربي. يقول أدونيس في كتابه "ها أنت أيها الوقت" "1933" مشيرا الى هذا الموروث الثقافي والفكري الذي اكتسبه في طفولته "الشعر العربي القديم اعرفه و به انجبلت طفولتي الأولى في القرية وذلك بتوجيه أبي وسهره على تربيتي كانت الحياة شعره الأول والأساس أما شعره بالكلمات فكان عنده هامشيا، غير انه كان قارئا محبا للشعر وبصيرا في اللغة العربية وأسرارها على يده قرأت بشكل خاص المتنبي وأبا تمام والشريف الرضي والبحتري والمعري الى ذلك علمني القرآن وتجويده"[2] ولعل هذا الاعتراف الصحيح الذي يقر به أدونيس نفسه يكفي ليؤكد حقيقة تأثره في المرحلة المبكرة من طفولته بثقافة والده التي أكسبته الموروثين: الديني والأدبي بدرجه متساوية.

[1] – روبيرت كامبل : أعلام الأدب العربي المعاصر ، جامعة قديس يوسف ، بيروت ،1996 ، ص242

[2] – أدونيس ، علي أحمد سعيد : ها انت ايها الوقت : سيرة ثقافية ، دار الادب ، بيروت ،1993 ، ص26 –27.

1).في المعاهد التعليمية:

مكث احمد الصغير في الكتاب الى أن أصبح عمره 13 سنه فراوده حلم يقظة رسم فيه الطريق الى دخول المدرسة الرسمية. و هنا حدثت مفاجأة في حياته وأنها قد حدثت في العام 1944 و المفاجأة كانت أن سوريا نالت استقلالها وقرر أول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال وزوال الانتداب الفرنسي أن يزور سوريا كلها للتعرف على المناطق ضمن برنامج زيارته للمناطق السورية فخلال الزيارة قرر الرئيس زيارة المدن القريبة من قرية الشاعر " قصابين" في منطقة اللاذقية، فلما سمع الصبي علي احمد سعيد بأمر هذه الزيارة أخذته الحماسة فنظم قصيدة لاستقباله وهكذا فكر انه سيكتب قصيده يلقيها أمامه وانه سوف يعمل على تحقيق هذه الإرادة. إلا أن القائمين على تحضير حفلة الاستقبال رفضوا أن يلقي الطفل ما أعده، فانفجر الصبي بالبكاء. سأله احد الحاضرين عن سبب بكائه، فأجابه برغبته بإلقاء قصيدته، التي أعدها لهذه المناسبة عندها صرخ الرجل طالبا من الرئيس السماح للصبي بإلقاء قصيدته، فما كان من الرئيس إلا أن استجاب لرغبة الصبي وسمع القصيدة كاملة، أعجبت القصيدة الرئيس وهذا كان بعد إصرار و إرادة جبارة من قبل طفل بلغ هذا العمر الصغير وبعد تقديمه القصيدة أمام رئيس الجمهورية دعاه الرئيس، فجرى بينهما الحوار الذي بدأ بتغيير مسار حياته حيث انه طلب أن يسمح له بإكمال تعليمه في المدارس الحكومية، فلبى الرئيس طلبه واصدر قرارا يقضي بان يتعلم الطفل على نفقة الدولة[1]، حديث الناس ونشرت تلك القصيدة التي ألقاها أدونيس في الجرائد السورية آنذاك وكان احد أبيات القصيدة التي ألقاها أمام الرئيس:

إذا حذفت لام وياء من اسمه *** بقت قوة لا يستطاع لها رد

[1] – حوراني رامز : النقد الأدبي و منطلاته الفكرية في فلسفة انطون السعادة ، سيان –بيروت 1998 ، ص170.

فبعد حوالي أسبوعين دخل علي احمد في مدرسة رسمية على نفقة الدولة وكانت المدرسة التي دخلها هي المدرسة الفرنسية الأخيرة في سوريا أي مدرسة اللائيك للبعثة العلمانية الفرنسية في طرطوس وكانت هي أهم مدرسة في سوريا كلها حيث تلقى علي احمد أصول اللغة الفرنسية أيضا، كان يذهب إلى المدرسة بالقنباز وبقي حوالي شهرين فكان محطة أنظار التلاميذ المستهجنة حتى حصل له بدلة مدنية ولعل هذه المناسبة كانت سببا في تحول شبه أسطوري في حياة الشاعر، هكذا افتتحت أمامه أبواب العلم.

وكان دخوله الى المدرسة في شهر آذار أو في نيسان يعني لم يدخل في بداية العام الدراسي وتقدم لنيل الشهادة الابتدائية في أخر السنة أي بعد ثلاثة أشهر، فقد نجح وتابع دراسته في هذه المدرسة سنه 1945 ثم في السنة التي تلت دخل في الثانوية وفي أثناء هذه السنة قام بنشاط طلابي كبير وأصبح تقريبا قائد الحركة الطلابية في طرطوس. وفي آخر هذه السنة أغلقت هذه المدرسة لأسباب وطنية سياسية باعتبار أن كل المدارس الفرنسية قد تغلق، وفي السنة التالية أحدثت مدرسه وطنية متوسطة و واصل علي احمد دراسته فيها حتى أمضى ثلاث سنوات لدراستي مراحل الابتدائية والمتوسطة و البريفية، وبعد هذا كان هناك نظام يقول بأن من ينجح بالبريفية بتفوق يحق له أن يطلب منحة ويتعلم على حساب الدولة، فاغتنم هذه الفرصة وكتب رسالة الى رئيس الجمهورية يشكره فيها على ما قدمه له وقال له يرجو أن يساعده للانتقال لإكمال دراسته على نفقة الدولة[1].

وهكذا قد انتقل الى اللاذقية عام 1947 للدراسة على حساب الدولة طبعا عنده تجارب في مدرسة " اللائيك" فبرز هناك شاعرا وسياسيا ولم يكن كثير الاهتمام بالدرس بل صب جل اهتمامه في تلك الفترة على العمل السامي وانضم الى الحزب السوري القومي الاجتماعي سنة 1948، بعدما كان شاهد بعض الطلبة القوميين يطردون من المدرسة لأنهم تظاهروا عند الانتداب الفرنسي.

[1] – المرجع السابق ص170

2).في الخدمة العسكرية:

بعد التخرج من الجامعة التحق أدونيس بالجيش لتأدية خدمة العلم وتنقل لوقت قصـــير بين الكلية العسـكرية في حمص وبين الكلية في حلب، أمضـى سـنه من خدمته في السـجن بسـبب انتمائه الحزبي المشار إليه سابقا. كان ذلك في إطار اتهام الحزب بقضية الضابط الشهيد عدنان المالكي الذي اغتيل في دمشق عام 1955، وحين أطلق سراح أدونيس بقرار من المحقق العسكري يقضي"بمنع المحاكمة" نقل الى الجبهة بصفة "غير مسلح" وخارج البرامج العسكرية فضلا عن جهله الكامل بالسلاح، هناك اغتنم أوقات فراغه الطويلة ليقرأ الشعر ويكتب، فقرأ أشعار بعض السرياليين وغيرهم من الشعراء الفرنسيين والبلجيك، أخذ أدونيس من إحدى المكتبات في حلب حيث أمضـــى جزءا من فترة خدمة العلم – مجموعات شـــعرية لشـــعراء فرنســـيين بينهم رينيه شـــار وهينري ميش، وماكس جاكوب–. ويقول أدونيس عن هذه المرحلة:" عملت هذه القراءة على تعميق الهوة، وتوسـيعها بيني وبين الثقافة التي كانت تسـود حياتنا وكثيرا ما كان يخيل إلي أنني أسمع في داخلي صوت يقول لي: استمسك اعتصم وحاذر أن تسقط أي شيء، إلا في نفسك وعليك هنا أن تسقط عموديا، وان تسلك الطريق الأكثر رحابة، ما لا قرار له وما لا ينتهي إذ بدءا من ذلك تستطيع أن تهبط في أعماق الأشياء[1]."

وفي هذه الفترة على الجبهة كتب قصيدة "الفراغ" وقصيدة "مجنون بين الموتى" التي نشرت فيما بعد في مجلة "شعر"، كما كتب عددا كبيرا من القصائد التي ستتخذ منها مجموعه نشرت بعنوان قصائد أولى التي صدرت عن دار مجلة شعر، وبينما أدونيس على الجبهة سجن من جديد وأحيل إلى المحكمة

[1] – من موقع قاسم حداد نقلا عن مجلة "ليو" فصيلة ثقافية تصدر عن منشورات الجمل ، السنة الثالثة ، العدد ستة ،1998 ، ليو –المانيا الوصلة الكاملة http//aljsad.org /show thread php ? p7876

عرفية وبعد أربعه أشهر أطلق سراحه بدون محاكمة أو تحقيق أو استجواب وفي تلك المحنة كتب قصيدة " السديم أو ثلاثة مجانين "و تركت تلك المحن المتوالية أثرا عميقا في شعره وفي حياته.

II).توجهات أدونيس النقدية:

معلوم أن لكل شاعر أو ناقد ركيزة ما تحدد توجهه و تبين مقصده، و هو ما يوضح المرمى الذي يرمي إليه، و المسعى الذي ينشده من خلال العمل الذي يزاوله سواء أكان عملا شعريا أو نقديا، و أدونيس باعتباره أحد المنشغلين في الميدان الشعري و النقدي كذلك، له توجهاته النقدية التي تميزه، فهي تعكس فلسفته و مفهومه للفن عموما و للشعر خصوصا فهو يعتمد في عمله النقدي على مفهومه للحداثة، أي أنه حداثي التوجه في ممارسته النقدية و الإبداعية على السواء، فهو يرتبط بكل ما فيه معنى التجدد و الخروج و التجاوز و التخطي و التحرر[1].

بل لا مراء في أن آراء أدونيس عن "الحداثة" و الثورة و التجاوز و الهدم تصدر عن فكر ماركسي، فالثورة التي يدعو إليها الفكر الماركسي... تتناقض بكل تأكيد مع قيم الماضي بكل أشكالها، دينية كانت أو ثقافية أو فنية أو اجتماعية. و يتأكد هذا من خلال تلك الاستشهادات التي يشير إليها أدونيس في عروضه لذلك القضايا، فآراء لينين و ماركس و نيتشه يتردد صداها في كتبه[1]. و يقول أدونيس عن مثل هذا في سياق آخر "تأثرت بالماركسية و نيتشه من حيث القول بفكرة التجاوز و التخطي"[2].

و لعل الأمر لم يقف عند حدود التأثر بأفكار الشخصيات و مبادئهم فحسب، فثقافته أتاحت له التأثر بالنظريات الأدبية الغربية، حيث انسرب إلى فكره شيء غير قليل من هذه الأفكار الغربية، وبخاصة

[1] – مجلة عالم الفكر : الحداثة و التحديث في الشعر، المجلد 19 ، العدد3(أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر) وزارة الإعلام، الكويت 1988م: ص 27.(بتصرف). و ينظر مجلة الرافد، دائرة الثقافة و الإعلام، الشارقة، العدد 157،(رمضان 1431/ سبتمبر 2010/ ص 47.

[2] – أدونيس، فاتحة لنهاية القرن، دار العودة، بيروت، ط1، 1980م: ص 167

تجارب الحركة السريالية التي تغطي مساحة غير قليلة من شعره[1]. و لا يوجد ما يؤكد هذا أكثر من قوله "لم أتأثر بشـــاعر بعينه بل باتجاهات و مواقف و رؤى عامة، مثلا تأثرت الحركة الســـريالية كنظرة، و الســـريالية هي التي قادتني إلى الصـــوفية، تأثرت بالفيلســـوف اليوناني هيراقليطس و نظرته القائمة على الصـيرورة و التطور المسـتمرين"[2]. كما تأثر أدونيس كذلك بفكرة البحث و التجريب باطلاعه على الشـعر العالمي الحديث، خصوصا الأمريكي و الفرنسي[3].

لن نبتعد كثيرا في هذا المعنى، فهناك كلام آخر يصـــب فيه متحدثا عن مصـــادر ثقافة أدونيس بقول قائله: "و ثقافة أدونيس الواسـعة واضـحة في شـعره...، و هي ثقافة تضـرب شـرقا و غربا و تتعمق قديما و حديثا، تجمع بين الكتاب المقدس بمهديه القديم و الجديد و بين الأســاطير الشــرقية و اليونانية و الشــعر العربي على مدى تاريخه، و الشــعر الغربي الحديث، و بين الثقافة الإســلامية و العقائد الشــيعة الإمامية و الباطنية و القرمطية بل الهندية و الفرنســية و كذلك الشــيوعية الماركســية و أخيرا الفلســفة الصوفية"[4].

إن نهل أدونيس من هذا الكم الوافر من الروافد هو ما جعل فهم أفكاره و رؤاه و آرائه أمرا صـــعبا فتأثره بأفكار الحركات الباطنية و المتصـــوفة باعتبارها طلائع التمرد و التغيير في مســـار التاريخ الثقافي العربي[5]. هو الذي أسهم في تشكيل وضع توجهاته النقدية و أنتج العسر في نتاجاته الإبداعية كذلك، ولذا حفل شـعره بأقنعة و رموز شـديدة التعقيد، تسـتمد جذورها الأسـاسـية من تلك الحركات المثيرة للجدل في

---

[1] – مجلة عالم الفكر: الحداثة و التحديث في الشعر، المجلد 19، العدد 3: ص 27

[2] – أدونيس، فاتحة لنهايات القرن: ص 167(بالتصرف)

[3] – ينظر نفسه: ص 167

[4] – د. إبراهيم محمد منصور الشعر و التصرف. الأثر الصوفي الشعر العربي المعاصر(1945–1995) دار الأمين للنشر و التوزيع، (د.م) (د.ط) (د.ت): ص 119 (بتعرف.و ينظر: أمجد ريان، صلاح فضل) و شعرية العربية، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، (د.ط) 2000م ص 101

[5] – مجلة عالم مفكر : الحداثة و التحديث في الشعر المجلد 19، العدد3 ص 27

التاريخ العربي[1]. و بناء على هذا فإن مفهومه للحداثة قد تشـكل من روافد متعددة من الشـرق و الغرب، ومن حركات التمرد في التراث العربي[2].

و لذلك ينبغي لمن يحاول أن يتبين الطريق إلى شـعره و فلسـفته الفنية أن يعلم هذه الحقيقة و أن يكون على ذكر بأهمية الثقافة المتنوعة لفهم هذا الشـاعر، لأنه هو نفسـه قد ملأ جوفه بهذه الروافد كلها، فلا مندوحة عن النبش تحت الأرض لمعرفة هذه الأصول و الروافد[3].

و من خلال ما تقدم، بات واضـحا أن توجهات أدونيس النقدية ترجع و تسـتند على الكثير من الروافد والمثارب المتعددة و المختلفة في الآن ذاته، فهي متعددة و متداخلة و متشابكة يفضي تعددها و تشابكها و تداخلها إلى غموض ما يطرحه أحيانا، و إبهام ما يقوله شعرا أحيانا أخرى، فيصعب بذلك فهم ما يقصد و يعسر لذلك إدراك ما يريد، و ما من طريق لتجاوز شيء من ذلك إلا بمعرفة الأصول والمرجعيات التي كانت السبب في تنشئة شخصيته الإبداعية و تكوين ذاته النقدية.

III).موقف أدونيس في النقد و النقاد:

ينطلق أدونيس في حديثه عن النقد و النقاد من مفهومه الخاص للشـعر أو من واقع التجربة الشعرية التي عاشها، فهو لا يطمئن للنقد العربي القديم و الجديد على حد سواء، و ينجلي ذلك في رفضه للنمط التقليدي السـائد من النقد لأن ما يتطلبه هذا النمط غير شـعري بالمعنى العميق للكلمة، و يرى أن لكل إبداع جديد تقويما جديدا، و لكل رؤية فهما جديد، و إذا كان إدراك الشـكل في القصـيدة القديمة لا يتطلب جهدا فإن إدراكه للقصـيدة الجديدة يتطلب وعيا شـعريا كبيرا، و النقد لا يمكن له أن يكتفي بتفسير

[1] – مجلة عالم مفكر ، مرجع سابق: ص 27

[2] – نفسه : ص 27 (بتعرف)

[3] – إبراهيم محمد منصور: الشعر و التصوف: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر. ص 219–220

محتوى النص الذي ينقده و إنما يجب أن يتناول بالدرجة الأولى نظامه لقولي كأن القصيدة نص كتابي لا يمكن تقويمه أي نقده إلا انطلاقا من تحليل بنيته التعبيرية، و هذا التحليل لم يبدأ بعد أي أن النقد الجديد الذي يرتفع إلى مستوى الشعر الجديد لم يبدأ بعد باستثناء محاولات نادرة جدا[1].

يريد أدونيس أن يواجه ثلاثة مستويات هي: مستوى النظر أو الرؤية، مستوى بنية التعبير، مستوى اللغة الشعرية، مستخدما في ذلك حسا فنيا متميزا و يبدو ذلك جليا في تحذيره من الرؤية الجزئية في النقد، و يدعو إلى أن يقيم الشاعر برؤياه ككل و نظامه الفني ككل، و علم العلاقات التي يبتكرها[2].

أدونيس إذ هو ضد النظرة الجزئية للإبداع الشعري، و هي نظرة طالما كرستها الحركة النقدية القديمة، حيث تبارى النقاد قديما في الحكم على شعرية النصوص، لذا نجد أدونيس قد ألح على إسقاط هذه النظرة التقليدية مطالبا بالنظر إلى رؤية العمل الإبداعي بصورة شمولية[3].

إن القصور الذي أصاب الحركة النقدية قديما و حديثا ليس قصورا في النقد ذاته بقدر ما هو قصور ينبع من النقاد في عدم توفرهم على طاقة الحس الفني، و نلاحظ ذلك في النقد المدرسي والجامعي، و في هذا السياق يرى أدونيس أن فهم الشعر كما يمارس على مستوى المؤسسات التربوية في المدرسة و الجامعة ركاما من المفهومات النقدية يتكدس حتى التعفن، انظر ثانيا الى فهمه كما يمارس على مستوى الحركة النقدية خارج هذه المؤسسات ماذا ترى؟ نقاد لهم أسماء و كتب لامعة لا يعرفون أحيانا أن يميزوا حتى بين قصيدة موزونة و أخرى بلا وزن، بسبب التغيير في نسق الأسطر أو بسبب

[1] – ينظر، بشيرتا وريديت، استرتيجية الشعرية و الرؤية الشعرية عند أدونيس ، ص 40

[2] – أدونيس، الثابت و المتحول (صدمة الحداثة) دار العودة ، b4 ، بيروت، 1994 ، ص 150

[3] – ينظر، بشيرتا وريديت، استرتيجية الشعرية و الرؤية الشعرية عند أدونيس، ص 11

الوقف أو البياض، فإذا كان فهم التغيير في سطح الكتاب مغلفا على هؤلاء فكيف يمكنهم أن يغوصوا إلى أعماق القصيدة و يكشفوا أبعادها[1].

"الأزمة النقدية بهذا التصور الأدونيسي هي أزمة معرفية بامتياز تكشف عن تقوقع النقد التقليدي و دورانه على نفسه، و من دون إدراك التغييرات التي تمس النص الشعري من حين لآخر، و لعل هذا ما جعل أدونيس ينادي بنقد جديد تتبع آلياته و شفراته من طبائع النص السحرية، و ذلك بهدف تحقيق الانسجام بين الواقع الشعري و الواقع النقدي"[2].

و يختصر أدونيس الفروق السالفة الذكر قائلا: كان الإبداع لدى أسلافنا يقوم على انتقاء الموضوعات في حدود الوعي الإنساني العام غير آن موضوع الإبداع اليوم بالنسبة إلينا على الأقل، ليس أليفا لدى الناس بل أن جوهره قد يبدو غريبا عنهم أو عن معظمهم، كأنه يأتيهم من كوكب مجهول أو من أعماق العصور[3].

و يستخلص أدونيس بأن الفرق بين الكتابة الشعرية القديمة و الحديثة هو الفرق بين التعبير والخلق و الكتابة الطليعة لا تقدم جوابا، ذلك أنها ليست طليعية إلا بكونها سؤالا يقود إلى سؤال و هذا السؤال لا يطر على الماضي فحسب بل على المستقبل أيضا، لا على الأجوبة فحسب بل على الأسئلة كذلك[4].

و اذا كان الشعر القديم يلامس سطح العالم و تجميل هذا الكون و إضفاء الكمال على الأشياء، فإن الشعر الحداثي ينفذ إلى الأشياء محولا إياها إلى أسئلة و من دون تزييف، قد يعود ذلك إلى طريقة

---

[1] – ينظر، بشيرتا وريديت، استرتيجية الشعرية و الرؤية الشعرية عند أدونيس ، ص 12

[2] – المرجع نفسه ، ص 12

[3] – نفسه، ص 17

[4] – نفسه ، ص18

رصـد الشـاعر القديم للأشـياء الخارجية بأمانة و صـدق، دون القيام بعمليات انحرافية أثناء التعبير عن الأشياء الملتقطة على عكس الشاعر الحداثي الذي تحول من الخارج إلى الداخل محاولا دائما أن يكتشف ما لا يستطيع بصرنا الوصول إليه[1].

و اذا كانت القصيدة القديمة تقوم على التزيين و التجميل و هي في نظر أدونيس قصيدة مغلقة و محدودة لعدم وجود أبعاد شعرية فيها و هو يدعو إلى التحرر من مثل هذه النصوص الإبداعية التي تقوم على رؤيا واحدة و معنى واحد و إن هذا التفجير للدلالات هو ما يعطي القصيدة الشعرية و مبدعها صفة العظمة و لا يمكن للشاعر أن يكون عظيما إلا إذا لمحنا من وراءه رؤيا العالم.

لأن الشاعر في نظره قد يكون مجددا حتى عندما يتحدث عن الناقة و الجمل فليس المهم بالنسبة للتجديد هو ملاحظة شواهد العصر لكن المهم هو فهم روح العصر[2].

ملاحظة نقدية في مواقف أدونيس:

هناك بعض النقاد المعروفين في العالم العربي أمثال رجاء النقاش[3]، جهاد فاضـــل، كاظم جهاد الذين قاموا بدراســـات و تحليلات نقدية جيدة عن الأعمال الشـــعرية و النقدية لأدونيس، و أتوا ببعض الملاحظات المهمة، فالكاتب رجاء النقاش الذي كانت له ملاحظات كثيرة على أدونيس ورد بعضـــها في كتابه "ثلاثون عاما مع الشـــعر و الشـــعراء" و فيها يزعم أن كتابات أدونيس كلها طعن على العروبة و الأدب العربي و الفكر الإســلامي، كما يزعم أدونيس أن العرب و المســلمين لديهم عقائد و أفكار و حياة موروثة غير قابلة للتطور و الحداثة، و أن كتابات أدونيس منشــورة و واضــحة على رأســها كتابه الذي

[1] – ينظر أدونيس ، زمن الشعر ص 295

[2] – ينظر المرجع نفسه ص 20

[3] – هو محمد رجاء عبد المؤمن النقاش كاتب صحفي و ناقد مصري(41934-2008)

أســماه "الثابت و المتحول" و كله طعن ظاهر على العروبة و الأدب العربي و الفكر الإســلامي و هو طعن واضح الغرض، مكشوف الهدف، ليس فيه شيء من الموضوعية أو الأمانة العلمية أو سلاسة الفهم للنصـوص، و ما أكثر ما تحتاجه كتابات أدونيس من الوقت و الجهد لدحض أفكاره فكرة فكرة و كلمة بعد كلمة، و يتابع ملاحظاته بأن أدونيس يرفع راية التجديد الشــعري الشــامل، و لكنه تحت هذه الراية يريد القضاء على كل الجذور في الشعر العربي و الشخصية العربية معا و في وقت واحد. يقول رجاء النقاش أن كل ما كتبه أدونيس عن الإســلام و العرب في هذا الكتاب و غيره يفيض بمثل هذه الأخطاء العلمية الفاحشــة و ينطوي في داخله على دعوة صــريحة إلى التمزق و الطائفية و محاربة وحدة العرب كشــعب ووحدة الإســلام كدين، ثم الإعلاء من شــأن المذاهب الباطنية باعتبارها مصــدرا للقوة الفكرية و التجديد والأسس الصحيحة للعلاقات الإنسانية المفقودة تماما عد الأغلبية العربية و المسلمة في نظر أدونيس[1].

و يعتبر رجاء النقاش هذا الكلام كله خطأ و تدليجا من الناحية العلمية "و لا أتحدث هنا في الأمور الدينية، فللدين رب يحميه، و علماء أجلاء يســتطيعون الدفاع عنه بالعقل و الحجة و البرهان أفضـل مني، و انما أتكلم عن الجوانب التي تتصـل بالمعلومات الخالصــة عن التاريخ العربي الإسـلامي وعن الثقافة العربية الإســلامية حيث يخوض أدونيس في هذا كله بكثير من ســوء النية و ســوء الفهم والتفســير[2]. و ينهي رجاء دراســته عن صــاحب الثابت و المتحول بقوله:" لو كان أدونيس قد التزم في

[1] – رجاء النقاش أيها الشاعر الكبير اني ارفضك، مقالة، منتديات القصص العربي اون لاين، الوصلة الكاملة http//www.arabe icstory.net/forim/index.phpshowtopic ;10932

[2] – رجاء النقاش أيها الشاعر الكبير اني ارفضك، مقالة، منتديات القصص العربي اون لاين، الوصلة الكاملة http//www.arabe icstory.net/forim/index.phpshowtopic ;10932

رسالته بالأصول العلمية الموضوعية الصحيحة لقلنا أنه عقل حر يجتهد، و إن كان قد أخطأ فله أجره وله قيمته و كرامته"[1].

أما كاظم جهاد[2] الذي كتب عن أدونيس دراسة بعنوان "أدونيس منتحلا" يرد فيه أن أدونيس مارس انتحال الشعر النفري، البسكامي، الأصمعي، لسان جون بيرس و انتحال الفكر لهايدغر، ألبيرس بل و حتى الصحافة الفكرية "جيرار بوتو" لم يفته أن يقيم علاقات انتحالية مع إشكال شعراء آخرين.

III).دراسة تحليلية لقصيدة الرؤيا النموذجية :

نص قصيدة الرؤيا للشاعر أدونيس :

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

فَرَكَضَتْ أَسْتَجْلِي مَسَالِكُهَا

وَنَظَرَتْ –لَمْ أُلْمِحْ سِوَى الْأُفُقِ

وَرَأَيْتُ أَنَّ الْهَارِبَيْنِ غَدَا

وَ الْعَائِدِينَ غَدَا

جَسَدَ أَمَزَّقَهُ عَلَى وَرَقِيٍّ

.....

وَرَأَيْتُ –كَانَ الْغَيْمُ حَنْجَرَةً

وَ الْمَاءُ جَدْرَانَا مِنَ اللَّهَبِ

[1] – رجاء النقاش أيها الشاعر الكبير إني أرفضك، مقالة، منتديات القصص العربي اون لاين ، المزيد من القراءة انظر كتاب رجاء نقاش ،ثلاثون عام من الشعر و الشعراء ، إسعاد الصباح ، الكويت 1992

[2] – شاعر راثي (1955) يمارس النقد الأدبي و ترجمة الشعر و الفلسفة و يعلم الأدب العربي و الأدب المقارن في المعهد الوطني للغات و الحضارات الشرقية (اينالكو) بباريس

وَرَأَيْتُ خَيْطًا أَصفَرَا دِبْقَا

خَيْطًا مِنَ التَّارِيخِ يعلق بِي

.....

تَجْتَرُّ أَيَّامِيٌّ وَتَعَقُّدُهَا

وَتَكُرُّهَا فِيهِ –يَدٌ وَرِثَتْ

جِنْسَ الدَّمَّى وَسُلَالَةِ الْخَرْقِ.

.....

وَدَخِلَتْ فِي طَقْسِ الْخَلِيقَةِ فِي

رَحِمَ الْمِيَاهِ وَعُذْرَةِ الشَّجِرِ

فَرَأَيْتُ أَشجَارًا تُرَاوِدُنِي

وَرَأَيْتُ بَيْنَ غُصُونِهَا غَرْفًا

وَ أُسْرَةٌ وَكُوَى تُعَانِدُنِي،

وَرَأَيْتُ أَطْفَالًا قَرَأَتْ لهم

رَمْلِيٌّ، قَرَأَتْ لهم

سَوَّرَ الْغَمَامُ وَآيَةُ الْحَجَرِ

وَرَأَيْتُ كَيْفَ يُسَافِرُونَ مَعْي

وَرَأَيْتُ كَيْفَ تُضِيءُ خَلْفَهُمْ

بَرَّكَ الدَّموعَ وَجَثَّةَ الْمَطَرِ.

.....

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

مَاذَا أَنَا، مَاذَا ؟ أَسُنْبُلَةً

تَبْكِي لِقَبْرَةٍ

مَاتَتْ وَرَاءُ الثَّلْجِ وَ الْبَرْدُ

مَاتَتْ وَلَمْ تَكْشَفْ رَسَائِلُهَا

عَنِيٌّ وَلَمْ تَكْتُبْ إِلَى أَحَدٍ

وَ سَأَلْتُهَا وَرَأَيْتُ جَثَّتَهَا

مَطْرُوحَةً فِي آخِرِ الزَّمَنِ

وَصَرَخَتْ "–يَا صَمْتِ الْجَلِيدِ أَنَا

وَطَنٌ لِغَرَّبَتْهَا

وَ أَنَا الْغَرِيبُ وَقَبْرُهَا وَطَنِيٌّ

.....

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

فَرَأَيْتُ كَيْفَ تَحَوَّلَتْ قَدَمِيٌّ

نَهْرًا يُطَوِّفُ دَمًا

ومراكباً تَنْأَى وَتَتَّسِعُ

وَرَأَيْتُ أَنَّ شَوَاطِئِيَّ غرقٌ

يَغْوِي وَ مَوْجِيٌّ الرّيحِ وَ الْبَجَعُ

.....•

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

وَ الرَّفْضُ لُؤْلُؤَةَ مكسرَة

تَرْسُو بَقَايَاُهَا عَلَى سُفُنِيٍّ

وَ الرَّفْضُ حَطَّابُ يُعَيِّشُ عَلَى

وَجِهِيٍّ –يُلَمْلِمُنِي وَيُشْعِلُنِي

وَ الرَّفْضُ أَبِعَادٍ تَشْتِتْنِي

فَأَرَى دَمِيَّ وَأَرَى وَرَاءَ دَمِي

مَوْتَي يُحَاوِرُنِي وَيَتْبَعُنِي.

.....

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

فَرَأَيْتُ كَيْفَ يضيئني كَفَنِّيٍّ

وَرَأَيْتُ –لَيْتَ الْمَوْتَ يُمْهِلُنِي.[1]

.....

[1] – أدونيس (علي أحمد سعيد) ، ديوان أغاني مهيار الدمشقي ، ص 143.

V).ماهية الرؤيا :

ان مفهوم الرؤيا هو :

1-لغة :

الرؤيا : ما رئيته في منامك (....) ورايت عنك ، رؤى حسنة خاصة ، ورأى الرجل اذ كثرت رؤاه بوزن رعاه ، وهي أحلامه جمع الرؤيا [1].اذن ذلت لفظة الرؤيا على الاحلام التي يراها الانسان في منامه وجاء تعريف موازي لهذا التعريف السابق في " الرؤيا " في معجم الوسيط مادة (رأى) : " ورأى في منامه رؤيا : " حلم " [2]

2-اصطلاحا :

ان الرؤيا عند أدونيس هي : اذا اضفنا الى كلمة رؤيا بعد فكريا انسانيا بالاضافة الى بعدها الروحي يمكننا حينذاك أن نعرف الشعر بأنه رؤيا .والرؤيا بطبيعتها قفز – خارج المفاهيم القائمة ، هي اذن تعتبر في نظام الاشياء وفي نظان النظر اليها ، وهكذا يبدو الشعر الحديث ، أول ما يبدو تمرد على الاشكال والمناهج الشعرية القديمة ، ورفضا لموافقة واساليبه التي استنفذ في اعراضها [3].

كما يعرف أدونيس الرؤيا قائلا : " والرؤيا في دلالاتها الاصلية وسيلة الكشف عن الغيب ، او هي العلم بالغيب ، ولا تحدث الرؤيا الا في حالة انفصال عن عالم المحسوسات (...) ففي الرؤياينكشف الغيب للرائي ، فيتلقى المعرفة كأنما يتمثل له الغيب في شحص اليه المعرفة " [4] اذمن الرؤيا هي كشف عن الغيب ، وهي تجاوز لعالم المحسوسات او الواقع الى عالم الخيال .

---

[1] – لسان العرب ، ابن منظور ، ص10 ، مادة (رآه)

[2] – المعجم الوسيط ، ابراهيم أنس وآخرون ، ص 320 ، مادة (رآه)

[3] – محاولة في تعريف الشعر الحديث ، أدونيس ، مجلة شعر ، ع 11 ، صيف 1959 ، ص 79 ، نقلا عن : الشعر الحديث بنيانه وابدلاتها ، محمد بنيس، دار دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط1 ، 1990 ، ص 37

[4] – الثابت والمتحول ، أدونيس ، ج 4 ، ص 149.

و من هنا يأتي تفسير النص أو وصف نقدي لا للنص كجو هذا ، ولكن لفهمها للنص ولذا فإنه لاسبيل الى إيجاد قراءته موضوعية لا نص ، وسيدخل النص يقبل تفسيرات مختلفة ومتعددة ، بعدد مرار قرائتها [1] ، والقصيدة التي نريد طرحها ومعالجتها فهي قصيدة رؤيا لادونيس ، وهي واحدة من النماذج التي تشكل ديوان مهيار الدمشقي ، وبالضبط " إرمذات العماد " ومن خلال قرائتنا لهذه القصيدةالرائعة نجد أن القصيدة تقريبا يلفها الغموض ولكن الغموض في الشعر ليس بذاته نقصا وأن الوضوح ليس بذاته كمالا ، الغموض على العكس دليل عن عمق ولو كان الغموض بذاته نقصا لسقط من شعر الإنسانية ، كلام هو أعظم من بين ما اتجه [2] فاللغة الحقيقية هي التي تبنى على جمالية وعلى خلق فني تكون هذه اللغة الغطاء الجميل الذي زيد رونقا وحياة نابضة في المضمون ، وقصيدة " رؤيا " تبنت هذا الاتجاه.

القصيدة ذات طول متوسط يسمح بمعاينة تجليات هذا الأسلوب ، ايلوب التجريد في جوهره ، ومراقبة كيفية تعامل عناصره اللغوية وتقنياته الشعرية [3] ومن هنا يمكن القول أن هذه الرؤيا عند أدونيس إبداعية ، وهي تبرز وحدة النص أي وحدة متكاملة .

ويمكن أن نؤكد أن هذه القصيدة هي واحدة من النماذج التي تدخل في اطار انتاج أدونيس والذي يتمثل في ديوان مهيار الدمشقي وبالضبط " إرم ذات العماد " ويغلب هذه القصيدة الغموض اللذي يتميز به النص الادونيسي واستدعائءه لبعض الشخصيات الأسطورية ، وهذا نظرا لظروف التي تحيط بالعالم العربي ، الذي أصبح يعاني من ظلم وقسوة وتخلف في كل الاتجاهات ، وهذا نظرا للظروف الاجتماعية والسياسية والاستعمارية والاقتصادية ، وهذا الغموض الذي أصبح الشعار يدافع عنه دفاعا باسلا ، يب

[1] –عبد الله الغمدامي ، الخطيئة والتفكير ، نادي جدة الادبي ، 1985 ، ص 76

[2] –أدونيس (علي أحمد سعيد) ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 2005 ، ص 13

[3] –صلاح فضل ، أساليب الشعرية المعاصرة ، دار ضياء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دت ، 1998 ، ص 252

وأصبحت جل قصائده تتميز بهذا النوع ، وفي الواقع الأمر أن الغموض ليس في حد ذاته نقصا والغموض في الشعر ليس بذاته نقصا ، وان الوضوح ليس بذاته كمالا ، الغموض على العكس دليل عيني وعمقي[1].

واذا كان النص العري ثريا ، فهذا يعني أن ثراه لما يحمله من موضـــوعات بيلة أ و أفكار وقيم وعادات وتقاليد والا ما بحمله من شـــكل نادر وجميل ولكن ثراءه بما فيه من أســـرار عميقة وتوهج دفين وتجربة ورؤى مختلفة [2].

وقصـــيدة الرؤيا هذه لا تقف عند المســـافات الواســـعة ولان الرؤيا حالة نادرة في امتلاك الوعي ، واســـتجماع الطاقة الروحية المتمثلة لإرثها الخاص ، تطوق النفس الشـــفافة قد حدس بالمجهول الآتي والرؤيا تحترق حجب البين ، وتصل بين الأماكن التي تبدو في الظلام متباعدة فالشاعر في القصيدة يمنح بين التاريخ والرؤيا ، ويصـــنع أحداث قصـــيدته انطلاقا من ذاكرة الحلم ، واذا نظرنا الى هذه القصـــيدة ، نظرة قواعدية نجد أن الابيات التالية :

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

فَرَكَضَتْ أَسَتَجْلِي مَسَالِكُهَا

وَنَظَرَتْ –لَمْ أُلْمِحْ سِوَى الْأُفُقِ

وَرَأَيْتُ أَنَّ الْهَارِبَيْنِ غَدَا

وَ الْعَائِدِينَ غَدَا

جَسَدَ أَمَزَّقَهُ عَلَى وَرَقِيِّ•

[1] –أدونيس (علي أحمد سعيد) مرجع سابق ، ص 13.

[2] – أدونيس (علي أحمد سعيد) مرجع سابق ، ص 14.

إن هذه الابيات تكشف عن صراع بين المادة والروح ، يميل الشعار فيه إلى عالم التغيب ، لان أساس القصيدة الفكرية يمكن أن يخفي نفسه الا انه يظهر بفعالية " الفراغ " ، وانه صكت مفعم بالمعاني لا يقل روعة عن الابيات الشعرية نفسها [1].

فهذه الابيات تبين لنا أن الشاعر ركز على هروب السكان وذكر هروب المدينة فهو يريد أن يخفي السكان في هذه الابيات ليترك للقارء فرصة التمتع والاكتشاف " أن الرؤيا بإدمان الارتجال تفتح وتتسع الى أن تصبح رؤيا انطلاقا من مجال بصري الى مجال بصيري [2] .

وثم نجد قبسا من التوتر في هذه القصيدة التي يوظف فيها الشاعر هذه الرمزية التي يعبر خلالها الشاعر وما المدسنة الا رمز لما يعاينه الشعار من خلال معادلة مجتمعه ، ولهذا يقول ي المقطع الموالي للقصيدة:

نَارُنَا تَتَقَدَّمُ نَحوُ الْمَدِينَةِ

لِتَصْعَدُ سَرِيرُ الْمَدِينَةِ ذوستعكس وَجْهَ الْحُضُورِ

وَارْضَ الْمَسَافَاتِ فِي خَاطِرُ الْمَدِينَةِ

نَارَنَا تَتَقَدَّمُ وَالْعُشْبَ يُولَدُ فِي الْحَجَرَةِ وَالثَّائِرَةِ

نَارَنَا تَتَقَدَّمُ نَحوُ الْمَدِينَةِ[3]

فالشاعر هنا لا يملك القدرة على إعادة تسمية الأشياء دون الرجوع الى الواقع هو يقدم لنا تجربة لعلها أكثر نضجا وعمقا في توظيفه لهذا اللون من القصف بالاعتماد على خاصية السايق الى دعوة مثلل هذا

[1] –رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث ، دراسة في المنجز النصي ، افريقيا الشعر ، بيروت ، 1998 ، ص 68.

[2] –المرجع نفسه ، ص 69

[3] - أدونيس (علي أحمد سعيد) مرجع سابق ، ص 13

الرمز الذي ينحصر في هذه المدينة وفي هذاه النيران التي يعبر عنها الشاعر بلغته الخاصة والتي تخلق دلالات جديدة وممكنة وبناءا على هذا فاللغة الادونسية هنا تتماثل لغة الشعر ولكنها ليست هي اذ كان القول الموقع يعطي فكرة محددة وثابتة هو أمر لا يسمح تشكيل أحوال أو واقع شعري تصبح الرموز والصور رغبة عميقة ومفتوحة على جملة فسيحة من الدلالات التفصيلية والمجملة [1].

فالشاعر يرى في هذا المقطع من القصيدة الموقف الذي يمر به أصحاب المدينة والتي من خلالها ينظر الشاعر تظرة قواعدية لهذه الأمة التي تكاد تجرفها النيران من كل جانب من خلال استبداد الحكام " ويكون الكلام مستحيلا اذ لزمان أن تخلق اللغة كلما شيئا أن تتحدث كما انه من غير المجدي حصر الكلام في تكرار جمل جاهزة ، كل واحدة يتعمل اللغة لاجل التعبير عن فكرة خاصة في لحظة معينة [2]

والمقطع قد يشكل انزياحا تخدم تشكيل قصيدة القناع ومن خلال هذا المقطع يحقق لشاعر أفق توقع الشاعر فيقول :

وَرَأَيْتُ –كَانَ الْغَيْمُ حَنْجَرَةً

وَ الْمَاءُ جَدَرَانَا مِنَ اللَّهَبِ

وَرَأَيْتُ خَيْطًا أَصفَرَا دِبْقَا

خَيْطًا مِنَ التَّارِيخِ يعلق بِي

تَجْتَرُّ أَيَّامِيٌّ وَتَعَقُّدُهَا

وَتَكُرُّهَا فِيهِ –يَدٌ وَرِثَتْ[3]

[1] –أحمد يوسف داود ، أوراق مشاكسة ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2001 ، ص 97.

[2] – جاهن أوهن ، بنية اللغة الشعرية ، ترجمة ، محمد للوكل محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1986 ، ص 101.

[3] - أدونيس (علي أحمد سعيد) مرجع سابق ، ص 13

تستمر حيوية القصيدة بتواتر الجمل الفعلية التي تذل على الحركة ، والثوابت ، وهذا المقطع مثلا جاء عن الغموض الذي خيم على هذا المقطع حيث قام بتشكيل رؤى الغرض وهذا من خلال مزجه لعناصر الطبيعة : الغير يستقر في حمجرة ، الماء : يتحول الى جدار من اللهب ، فالشاعر بهذا يتعقد ابتعادا كليا عن التصريح ، فلمكان والزمان يطيحان هطا السكون والقهر ، وهذا " يحقق صراعا ويولد حركة تنتقل من موقف الى موقف آخر ، يقابله لا الحياة في مجملها قائمة على البناء الداوي [1].

من هنا تبدأ الازمة بين الماضـــي والحاضـــر ، لتصـــب في هذا المقطع الذي يقلب عليه القناع والتخفي " اذا يمهل القناع على تغير المسار الخطى للزمن ، في لحظة الكتابة فيقعد الزمن قدرته المعيارية قياســا للمتغير أن يتحول في لحظة الانتاج الفني الى ابداع يتمثل العالم ، ويحوله الى مفاتيح تشــحيص هوية الزمن [2] ، ثم ان هذا المقطع تقوم بتقنية ، بنوعيه الداخلي والخارجي بتجلية أبعاد رؤية الشـــاعر وموقفه من العالم ، وهذا عن طريق توظيف القناع واســتنطاق الامكنة عناصـــر الطبيعية ولكن المهم ان تجتهد في تكوين مفهول الرؤيا عندما يتحيل الغير الى حنجرة والماء الى الجدران من اللهب ، اي عندما تتبادل عناصـــر الكون مواقفها فنصـــت عالم الماء في خلق بشـــر وتتحول الحياة الى حرائق الأمر الذي يضـــعنا في مفترق الطرق في التاويل الرمزي إما أن تجوب نحو الوحي والنبوة ، ومقام التاريخ مدينتنا وعنذئذ قد يبقى الخطاب في بنيته العميقة مع المقطع إما ان تفسره الى مقام الشـعر والابداع الذي يقترف عند أدونيس دائما باللهب ، وحينئذ يصـــبح التاريخ الاصـــفر الدجق مثلا ، لزوجة التاريخ وثقل الميراث الشعري البائس في زيفه واهترائه [3].

[1] – سامح الرواشدة ، القناع في الشعر العربي الحديث ، مطبعة كنعان ، الاردن ، ط1 ، 1995 ، ص 12.

[2] – سامح الرواشدة ، مرجع سابق ، ص 13

[3] – صلاح فضل ، اساليب الشعرية المعاصرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دت ، 1998 ، ص 254.

ويصبح البحث عن مقصد الشاعر من وراء هذا الزخم من الرموز والرؤى صعب وهذه القصيدة تمحو الكلمة ، وبشر بالجنون وبالسؤال وبالمواقف العفوية وبالمواقف المتكبرة وبالمواقف المتجاوزة لتغطية الناقصة الرافضة حدود العقل ، وحدود الصبر والقناعة والثروى وحدود القيم ، والنظم وحدود المرئي والمعروف وحدود اللغة ، الايمان والدين [1].

وهذا ما نلاحظه في هذا المقطع من القصيدة:

وَدَخِلَتْ فِي طَقْسِ الْخَلِيقَةِ فِي

رَحِمَ الْمِيَاهِ وَعُذْرَةِ الشَّجِرِ

فَرَأَيْتُ أَشِجَارًا تُرَاوِدُنِي

وَرَأَيْتُ بَيْنَ غُصُونِهَا غَرْفًا

وَ أُسْرَةٌ وَكُوَى تُعَانِدُنِي،

وَرَأَيْتُ أَطْفَالًا قَرَأَتْ لهم

رَمْلِيٌّ، قَرَأَتْ لهم

سَوَّرَ الْغَمَامُ وَآيَةُ الْحَجَرِ

وَرَأَيْتُ كَيْفَ يُسَافِرُونَ مَعْي

وَرَأَيْتُ كَيْفَ تُضِيءُ خَلْفَهُمْ

بَرَّكَ الدَّموعَ وَجَثَّةَ الْمَطَرِ [2].

[1] – خليدة سعيد ، دراسات في الادب العربي الحديث ، 1979 ، ص 69.

[2] - أدونيس (علي أحمد سعيد) مرجع سابق ، ص 13

وفي هذا المقطع من القصـــيدة يحاول الشـــاعر ان يدخل عالم الخليقة ، ويبحث عنها بطريقة رمزية ولا الرمز ليس اداة مصـــطنعة تصـــدر عن قصـــيدة ارادي بل رؤيا تنفذ عبر الواقع الى الحقائق الخفية التي تكمن وراءه.

ولان الشـــعر الرمزي لا يعني حيث جملة من الرموز في القصـــيدة بل يعني أن يكون الرمز نتيجة احتكاك الذات بالموضـــوع والغوص الى اعماق الواقع ، فالزمن ، ليس معطى سـلفا لانه عبارة عن شـكل لا يطغى في الفراغ بل بشكل تبعا لمتطلبات ثقافة ما من خلال واقع معيش [1].

ونرى ذكر الشـــاعر للاشـــجار الذي راودته وكأنها مكان بطريقة غامضـــة ، وهذا التوظيف لهذه الاشـــجار وكانها منازل " هو صـــياغة التعبيرية ، التي تســـتقطبها عدد من الاخترقاتاللغوية مثل " رحم المياه ، غدرة الشجر " فإن محاولة استنكاس البدء تعتمد على الخلفية الدينية والميثولوجية المتقوية للنص ، وان كانت لا تكفي بدورها لتفسير عدد الاسرة والقوى في الجنة المتباعدة تتصبح قراءة الرمل واضاءة فلسفة وجودية في صميمه ، بحيث في نهاية الامر ان الاطار الثاقافي اللازم لتأويل الابيات بالاخترقات اللغوية ، والتدخلات المتجاورة لاية مرجعية [2].

كما وظف الشـــاعر عند رؤيته للدموع وجثة المطر ، اشـــار بطريقة رمزية ، أن الوجود الانســـاني يتميز بالعبث ، فبرك الدموع التي تخلفها الامطار قد تتحول الى طين ، ثم أن الشـــاعر جعل المطر وكانه كائن حي له جثة والجثة في واقعهع الامر لا تكون للانســـان ، كما راودت ســـيدنا آدم بالمتاهي مع حواء ، فإن

[1] – محمد لطفي اليوسفي ، كتب المتهات والتلاشي ، ص 100

[2] – صلاح فضل ، المرجع السابق ، ص 257.

عزف الجنان في المعير الآخر لا تلبث ان تعانده في اللحظة التي تتحول من وعد على جثة غير أنه لا يلقى هذا المعير وحده بل هو معه ايضا " اطفال الله " ضمن قرائتهم في المستقبل [1]

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

مَاذَا أَنَا، مَاذَا ؟ أَسُنْبُلَةً

تَبْكِي لِقَبْرَةٍ

مَاتَتْ وَرَاءُ الثَّلْجِ وَ الْبَرْدُ

مَاتَتْ وَلَمْ تَكْشَفْ رَسَائِلُهَا

عَنِيٌّ وَلَمْ تَكْتُبْ إِلَى أَحَدٍ

وَ سَأَلْتُهَا وَرَأَيْتُ جَثَّتَهَا

مَطْرُوحَةً فِي آخِرِ الزَّمَنِ

وَصَرَخَتْ "–يَا صَمْتِ الْجَلِيدِ أَنَا

وَطَنٌ لِغَرَّبَتْهَا

وَ أَنَا الْغَرِيبُ وَقَبْرُهَا وَطَنِيٌّ

لقد كرر الشاعر " هربت مدينتنا " وهذا التكرار وظفه الشاعر في كامل قصيدته وهو يقصد هروب الناس من المدينة ، والتي هي عبارة عن جدران وأرصفة وطرق ثابتة لا تتحرك ، ثم يتبادر الى ذهن الشاعر من الرئية الى التساؤول ، ماذا أنا أسئل " يعني من اكون ، انها اسئلة وجودية ، مما أدى الشاعر ذكر هذه القبرة التي ماتت ولمتكشف رسالتها ، ويجسد هذا الى الكشف في الغامض ، فهو تخيل هذه الجثة

[1] – صلاح فضل ، المرجع السابق ، ص 258.

مطروحة في آخر الزمن ثم يصرخ " يا صمت الجليد ، ان وطن لغربتها ، وانت الغريب وقرها وطني من خلال هذا الصراخ يعبر الشاعر عن معاناته ، فرؤيا الشاعر هنا حدسية روحية .

وهذا ما يؤكده في المقطع الخامس حيث يقول :

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

فَرَأَيْتُ كَيْفَ تَحَوَّلَتْ قَدَمِيَّ

نَهْرًا يُطَوِّفُ دَمًا

ومراكباً تَنْأَى وَتَتَّسِعُ

وَرَأَيْتُ أَنَّ شَوَاطِئِيَّ غرقٌ

يَغْوِي وَ مَوْجِيُّ الرّيحِ وَ الْبَجَعُ[1]

ومن دلائل الكثافة في الصورة والرمز هو هذه القدم التي تحولت الى نهر يطوف بها ، فالشاعر هنا يبحث عن نفسه من خلال هذه الابيات ، وموقفها من هذا الوجود فمواكبة تاتي وتشع وشطانه غرقي .

وربط الموج والذي هو عنصر مدمر من عناصر الطبيعة ثم وظف طائر البجع والذي هو عنصر آخر من عناصر الطبيعة الحية ولان هذا الطائر يرمز الى الرقة واورومانسية ــ فغموض هذه الابيات تدخل في اطار النسيج النصي الذي يؤكد انفجارات اللغة بكل دلالاتها والدلالة اللغوية بربط المتعارض والمتناقض يجمع مالا يجتمع لاثارة الدهشة ، ولفت الانتباه ،وصياغة دلالات لايمكن الوصول اليها دون تفجير [2].

وقد استحوذت مفردة هربت على نفسية الشاعر ، لهذا الارتباط بمواكبة الباطنية فقام بتمرارها في النص ، فكلمة هربت التي تفتح النص وتظل تتكرر في أثنائه بشكل يفرض على القارئ معاودة القراءة لاستكناب

[1] - أدونيس (علي أحمد سعيد) مرجع سابق ، ص 142

[2] – ابراهيم روماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجانعية ، 1991 ، ص 1778

ايحالاتها ووظائفها الدلالية والنفسية وهذا التكرار يشير الى احساس الشاعر بالعزلة في هذه المدينة التي تطمح الى الهروب وهذا ما يهيئ لانتقال الوحدة دلالية يعد نحقيق اشباع دلالي في الوحدة السابقة [1]

ولا شك أن الخزن سيطر على نفسية الشاعر وهذا ما يؤكد عليه المقطع الاخير من القصيدة

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

وَ الرَّفْضُ لُؤْلُؤَةَ مكسرَة

تَرْسُو بَقَايَاُهَا عَلَى سُفُنِيٍّ

وَ الرَّفْضُ حَطَّابُ يُعَيِّشُ عَلَى

وَجِهِيٍّ –يُلَمْلِمُنِي وَيُشْعِلُنِي

وَ الرَّفْضُ أَبعَادٍ تَشْتِتْنِي

فَأَرَى دَمِيَّ وَأَرَى وَرَاءَ دَمِي

مَوْتَي يُحَاوِرُنِي وَيَتْبَعُنِي.

.....

هَرَبَتْ مَدِينَتُنَا

فَرَأَيْتُ كَيْفَ يضيئني كَفَنِّيٍّ

وَرَأَيْتُ –لَيْتَ الْمَوْتَ يُمْهِلُنِي.[2]

[1] – اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد . ط1، 1997 ، ص126.

[2] – أدونيس (علي أحمد سعيد) ، ديوان أغاني مهيار الدمشقي ، ص 143.

نلاحظ تكرار كلمة الموت يوحي أن الموت قد هيمن على المقطع اط ورد في وســـط المقطع وفي آخر المقطع ، فالصــراع هنا قائم بين المادة والروح ، ومن الناحية الدلالية يســهم في اتســاق وانســجام النص وجماليته ، وهي هذا التكرار الذي وصفه الشاعر نجد كلمة " الرفض "هربت " والرفض لؤلوة مكسرة.

هذا المقطع الاخير تنقلت الكلمة التي تمثل فيها تحســب لب التجربة الشــعرية لكنها تاتي هنا كما قوله عقلية تجريدية مطلقة انها الرفض في كلمة واحدة لم يتم تدوينها في موقف حيوي ولا اســتخلاصــها من معاناة معيشــية ، بل تجمدت على حافة اللســان واخترقت في اعماق الذات حتى اصــبحت لؤلؤة فقطت قيمتها بالتكسير ، ثم اشرت مثل خطاب يلملم ويشعل النار ان استجابت الى ابعاد متشتتة فانتهت بكينونة الى الدمار وصارت موتا في الحياة وحياة في الموت ، فاضاءت الكفن [1].

فأدونيس دأب على المزج بين الغياب والمطلق عن الواقع والحضــــور الغامر فيه أي انه يطلق حاســــته الشعرية من عقال الوعي لتحوم في عوالك الحلم الغربية الشاسعة ، ثم تعود فتيقيم وحدة بين عالمي الواقع وما فوق الواقع ، ودلت عن طريق تمويل الافكار الى اشياء مادية والاشياء المادية الى أفكار [2].

فالسؤال عند أدونيس موقف من العالم والوجدو لذا نجده يصدر عنه بحركة دائرية تتولد ولا تتعلق يبدا به ويدور حوله ، لينتهي اليه ويبدا من جديد فإذا كان الســـؤال جهاز الانارة والكشـــف عن الجذور والنواة والجوهر ، فهو في الوقت ذاته مطية الكشف عن الطبيعة الضدية للكون وعلاقته المتناقضة [3] .

[1] – صلاح فضل ، المرجع السابق ، ص 261.

[2] – اعتدال عثمان ، اضاءة النص قرءة في الشعر العربي الحديث ، دراسات ادبية ، الهيئة المغربية العامة للكتاب ، ط2 ، 1998 ، ص 53.

[3] – أسمية درويش ، مسار التحولات قراءة في شعر ادونيس ، دار الداب ، بيروت ، دط ، دت ، ص 247

من خلال هذه القصـــيدة نجد ان الشـــعر عند أدونيس رؤيا تبلورت من خلال تجربة الشـــاعر في الحياة والرؤيا الشعرية عند أدونيس لا ينفصل مبناها عن مضمونها ، وتتميز بالمتعة " بحيث صارت كل مرآة تعكس جانبا من المعنى [1]" .

وقد عبر الشـاعر في قصـيدته هذه بلغة غربية ، وهذالانه اسـتوعب مختلف التيارات الفكرية والفنية واتخذ الرمزية تيار فني يمرر من خلاله احاسـيســه وافكاره المتفجرة وهذا في حالة من التخطف الذهولي ةالرؤيا التي تدع الاحول النفسـية ترتد الى حلل المظاهر المخلوقة ، وقد خلقت اسـمالها القديمة في المعاني وفي القيم المنوطة في الحس المتجدن الاعمى [2].

تكرار الكلمة في قصيدة رؤيا

عندما قام الشاعر بتكرار الكلمات ، معناه ان نفسية الشعار قد ارتبطت بعوالم باطنية فقام بتكرارها في هذا النص الشـــعري ، ومن طلك نجد ان الشـــاعر يقوم بتكرار كلمة " ورأيت) اللتي تضـــل ننكرر في أثنائه بشـــكل يفرض على القارئ معاودة القراءة لمعرفة وظائفها الدلالية والنفســـية " ورابنا ان الع=هاربين غذا والعائدين غذا " فهذا التكرار ينشـر الى اللاشـعور نتيجة احسـاس الشـاعر بالعزلة التي نلاحظها في بداية القصيدة أي أن الشاعر لديه مكبوتات .

" مما يهيئ الانتقال الى الوحدة دلالية موالية بعد تحقيق اتساع دلالي من الوحدة السابقة [3]" .

[1] – س يدي لويس ، الصور الشعرية ، تر أحمد نصيف الجناني ، دار الرشد ، 1982 ، ص 50

[2] – ايليا حاوي ، الرمزية والسريالية في الشعر العربي والغربي ، دار الثقافة ، لبنان ، ط2، 1983 ، ص 12.

[3] – محمد كنوني اللغة الشعرية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط 1 ، 1997، ص 126

ومن هنا يأتي دور القارئ ليمارس على النص سلطة " وبما أن المعنى لا يتجلى في الكلمات وأن عملية القراءة لا يمكنها وبالتالي ان تكون مجرد تصرف على الدلالة اللسانية الفردية [1] ، وادونيس أراد اثبات أن اللغة الركيزة الاساسية في تكوينه ، ومن هنا جاء بهذا التكرار في قصيدته مما جعل هذا النص الشعري بأنماط التكرار المعروفة والتي وظفها الشاعر وحققت دورا مهما في بناء النص وابراز الاعماق النفسية للشاعر ، وهذا حين يقول :

وَرَأَيْتُ أَطْفَالًا قَرَأَتْ لهم

سَوَّرَ الْغَمَامُ وَآيَةُ الْحَجَرِ

وَرَأَيْتُ كَيْفَ يُسَافِرُونَ مَعْي

وهذا التكرار قداسهم في الشكل البصري في ابراز هذا المقطع بتركيز سواء على سائر النص أذ انه بهذا التكرار يشكل صوت جديد في النص فالمقطع اضفاء نغمي جديد ، على النص من الناحية الايقاعية ابراز المعاناة الداخلية للشاعر ، فهو حينما يقوم بتكرار كلمة ما يرغب في تأكيد دلالات معينة منها تعزيز معنى الفكرة المعبر عنها ، وهي تتنوع بالطبع على حساب مغزى الدلالة ، فقد تكون الكلمة المكررة واحدة عند شاعرين ولكنها عند واحد منهما للدلاة غلى فقدان الامل ، وعند الآخر أثبته بايقاع نواح ، بكاء روحي ، وقد تكرر الكلمة للاجماع الى قناعة الاشياء ةالاحياء بسوداوية الكون [2].

الادوات والحرف :

نلاحظ من خلال قرائتنا لهذه القصيدة أن الشاعر استخدم بعض الحروف والادوات التي هيمنت على محور قصيدته ومن هذه الحروف حروف الجر والابيات التي وظف فيها الشاعر هذه الحروف نجد مثلا

[1] – أدونيس ، ديوان اغاني مهيار الدمشقي ، ص 141

[2] – رجاء عيد ، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، منشاة المعارف الاسكندرية ، 1985 ، ص 66.

: (حســد ، أمزقة ، ورقى) ، والماء جدارنا من اللهب ، خيطا من التاريخ يعلق بي ، ودخلق في طقس الخلقة في ، اورأيت كيف يسافرون معي) ، (مطروحة ، في آخر الزمان) ، ترسو بقايا صف على سقي) ن (والرفض خطاب يعيش على) .

الاستفهام :

ان الشاعر قد اكثر من ادوات الاستفهام لانه في موقف قلق بحيث عن الدوافع والاسباب التي جعلت هذه المدينة تهرب وتختفي في الوجدود ، وهذا ما جعله يتسائل في قرار نفسه هل المدينة هي التي تهرب ، ام الناس هم الذين يهربون ، ولهذا أكثر من هذه والأدوات الاستفهامية .

ماذا ، انا ، ماذا ، اسنبلة ؟

فرأيت كيف تحولت قدمي ،؟

ورأيت ليت الموت يمهلني ؟

ورأيت كيف يسافرون معي ؟

ورأيت كيف تضئ خلفهم ؟

فرأيت كيف يضيئ كفني ؟

الروابط:

لقد اســتعان الشــاعر في نصــه ببعض الروابط والتي انتقاها جيد لخدمة لغرضــه النثري كما جاءت وقد انسجمت هذه الروابط انسجاما تاما بينهما .

حرف الفاء ، والواو ، وادوات الجزم (لم) وأداة التمني (ليت) مثل :

فرأيت كيف تحولت قدمي

فركضت استجلي مسالكها

عني ولم تكتب الى أخذ

ورأيت ليت الموت يمهلني

والرفض خطاب يعيش على

فرأيت كيف يضيئ كفني

الضمائر :

استعان الشاعر بضمائر تراسمية وفعلية والضمائر هذه كثيرا ما جاءت في صيغة المفرد مثل (فديت) ، (فركضـــت) ، (ونظرت) ، (ودخلت) ، وتعد من افعال الادوات التي يســتعملها المتكلمون للاحالة على كينات معصاه [1] ومنهنا نجد انه هذه الحروف والاسماء والافعال والضمائر تكررت كثيرا في هذه القصيدة وهذا خدمة لغرض الذي أراد ان يصل الشاعر اليه ، وهذا الاسلوب الذي تميز كل هذه الادوات والافعال والاسماء والضمائر تعد كلها " مفعلا اساسيا لتحريك دلالات النص الشعري بها والمحاورة [2].

أما الاسلبوب الانشائي فيمكن ان نقول أن اغراضة في القصيدة تنوعن بين الاستفهام ونداء ونفي ونعي في الاداة للتعبير عن حال الشاعر .

فالشـــاعر في هذه القصـــيدة يخلق جوا جماليا وفنيا في تفس الوقت ويطشـــف في روعة اللغة وعن نليات اسلوبية وبلاغية فيها كثير من التماسك والتجانس .

1 – بروان بول ، تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليفى ، ومنير الترمي ، مطابع للنشـر العلمي ، الرياض ، د ط ، 1997 ، ص 256

2 – عبد الجليل مراشدة ، حركة التراث مجملة علامات مكناس ، المغرب، ع21 ن 2004 ، ص67

ويمكن أن نؤكد في آخر المطاف أن هذه القصـيدة مأخوذة بالبحث والتجاوز ، انما ترفض جميع اشـكال المناسبة ، لان الشاعر يحس فيماهو يصغوها كل طلاقته وخبراته ، ويمضي بعيدا داخل مسارات البحث وآفاقه[1].

[1] – محمد لطفي اليوسفي ، في بنية السعر الحديث المعاصر ، دار سراس للنشر والتوزيع ، تونس 1985 ، ص 130.

الخاتمـــة

الخاتمة:

بعد هذه الدراســة في عالم الحداثة و لأدونيس يمكن أن نقف على أهم النتائج التي توصــل إليها هذا البحث:

- نشــأ مصــطلح الحداثة في الغرب ، ثم انتقل مصــطلح الحداثة إلى الأدب العربي ، بغموضــه وتقيداته ، و لهذا تعددت مفاهيمه ، و قد أثار مصـــطلح الحداثة جدلا نتج عنه بروز تيارين متصارعين ، تيار معاد للحداثة الغربية و آخر مناصر لها .
- الحداثة في معناها العام تعني الخبرة غير المسبوقة ، كما تعني كذلك الابتكار و الخلق والإبداع.
- الحداثة عند أدونيس وليدة اطلاعه على الكثير من أعمال الغرب الأدبية و النقدية .
- إن أدونيس "علي أحمد سعيد " من أكثر الشعراء المحدثين الذين نظر والى القصيدة العربية نظرة قواعدية فكان أكثر فهما و عمقا لهذا النص الشعري الجديد من ناحيتي التنظير و التطبيق بصفته ناقدا متمرسا في الثقافة العربية و داعيا إلى التجديد في آليات القصيدة العربية من ناحيتي الشكل و المضمون.
- إن لغة أدونيس لغة حداثية إنزياحية ، لغة مفارقة ، و هي غامضـــة تحتاج إلى الكثير من التأمل والفهم العميق ، فالغموض ممارسة فنية تميز كتابات أدونيس.
- الحداثة ترادف التجديد في اللغة العربية ، لذا اختلف آراء المفكرين حولها
- أدونيس كانت أهدافه متعدد و ســعى إلى خلق مشــروع فكري خاص ليهدم النظام المعرفي العربي الســائد و يحل محله نظام معرفي فكري جديد يســتجيب لمقتضــيات العصــر و مواكبة الموكب الحضاري .

- إن الأسلوب الشعري عند أدونيس مظهر غامض يصل في بعض الأحيان إلى الإبهام والإغلاق، و هي سمة خاصة توجد في جل أعماله الشعرية ، و لذا تميز بصعوبة الفهم في كتاباته الشعرية.
- إن الحداثة هي التجديد في الرؤى ، و محاربة التقليد الآخر ، و إعطاء حرية للإبداع ، بما يفيده في إنتاج الفنون و المعرفة .
- إذا كانت الحداثة في الفكر و العلم ابتدعا للمعرفة و لأدوات إنتاجها ، فان الحداثة في الأدب و الفنون ابتداع لرؤى جديدة.
- إن الحداثة فعل متكامل لوعي متحد ينطوي على قيمة ايجابية
- إن الحداثة الغربية تعتبر من أرقى النماذج و أنجحها بالعالم أسره ، بل صارت نموذج يحتذي به في كثير من الدول بما فيها الدول العربية .
- تعود جل مرجعيات أدونيس في الحداثة الشعرية إلى الثقافة الأجنبية ، فمعظم أفكاره مستوحات من الفلاسفة و الشعراء الغربيين ، الفرنسيين على الخصوص مثل : هيراقليطس، نتشه ، بودلير ، رامبو وسان بون بيرس ، و إن كان وجهته إلى التراث العربي فهي صوب الحركات الثورية (الخوارج ،أبو نواس ، أبو تمام ، الصوفية)
- الشعرية عند أدونيس في الاستعمال المتجدد للغة ، في صنع الشكل الجديد الذي يحمل القصيدة و ينصهر مع المعنى ، و يشير القارئ بصريا من خلال نمط الكتابة و يثيره شعريا ، نفسيا ، فيخلق فيه القدرة على الكتابة فليس قارئا من لا يكتب.
- عرفت الحداثة الأدونيسية ثلاث مستويات تمثلت في : الحداثة العلمية و تهدف إلى معرفة الطبيعة و السيطرة عليها ، حداثة التغيرات الثورية و تعني ظهور أفكار و نظريات جديدة بالتالي بروز أنظمة جديدة متطورة تؤدي إلى تحول في بنيات المجتمع الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية ، الحداثة الفنية و هي التي تصدر عن رؤية جديدة للكون و للإنسان و تتمثل في

التساؤلات التي تستكشف اللغة الشعرية و تؤدي إلى اكتساب تجارب جديدة و طرق مبتكرة في التعبير ، و قد اقتصر على فن الكتابة الشعرية دون الفنون الأخرى.

- إن الحداثة الأدونيسية على امتداد مسيرتها الفكرية و الأدبية فقد تناولت أوهم الحداثة المتمثلة في وهم الزمنية الذي يربطه بعض الشعراء بالزمن الواهن لكون اختفاء حركة التغيير و التقدم ، وهم المغايرة و تمثل في تغير موضوعات و أشكال الحداثة للدخول إلى عالم الحداثة الشعرية ، و هم المماثلة و هو مصدر للغرب ، فالعربي حاول أن يماثل الغرب .
- اعتمد أدونيس في دراسته على مرجعين فكريين : والمرجع الفكري الغربي حينما تأثر بكل التجارب الأوربية و استمد تجاربه و أفكاره منها ، أما المرجع الفكري الغربي فقد تمثل في التراث العربي الذي كان سائدا .
- استطاعت الحداثة أن تهدم بناء القصيدة القديم و تتجاوز الفكرة القائلة بأن الشعر "هو كلام موزون مقفى " فاستبدلت نظام الشطرين بنظام السطر ، ليس هذا فحسب بل ممدد بتعدد القافية و الأوزان كذلك .
- من خلال القصيدة نجد أن الشعر عند أدونيس رؤيا تبلورت من خلال تجربة الشاعر في الحياة ،و الرؤيا الشعرية عند أدونيس لا ينفصل مبناها عن مضمونها ، و تميز بالفائدة و المتعة.
- تعتبر الأسس التي قامت عليها الحداثة بمثابة الخلاص للإنسانية في التاريخ الأوروبي ، فهي تعد مرحلة انتقال الإنسان من العصور الظلامية ، إلى عصر التنوير .

و أخيرا يمكننا القول إن موضوع الدراسة في هذه الأطروحة هو البحث عما أبدع أدونيس من الأعمال التجديدية في الشعر العربي ، لا يقتضي الحال مناقشة عن عدم توافق بين ما يطرحه من نظريات فكرية و بين ما يكتبه من قصائد ، و إن نوع الشعر الذي قدمه إلى عالم الشعر العربي يعبر عن صياغات جديدة حتى يعد أنه شاعر التجديد في عالم العرب الحديث .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

- ابن منظور : معجم لسان العرب دار المعارف، القاهرة، مصر، مادة حدث
- ابن منظور لسان العرب ، مادة(حدث) ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1997
- ديوان قصائد أولى لأدونيس ، دار الادب أ بيروت 1988
- معنى الحداثة في الشعر المعاصر ،فصول م6 ،ع6 سنة 1986 ،ص38
- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر ط 4 ، 2004، مادة حدث
- المعجم الوسيط ، ابراهيم أنس وآخرون ، ص 320 ، مادة (رآه)

المراجع

الكتب

- إبراهيم رماني : الغموض في الشـــعر العربي الحديث. منشـــورات الثقافة الجزائرية ، الجزائر ، (د ،ط)2007
- إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991
- إبراهيم محمد منصـور الشـعر و التصـرف. الأثر الصـوفي الشـعر العربي المعاصـر(1945-1995) دار الأمين للنشر و التوزيع، (د.م) (د.ط) (د.ت)
- إبراهيم محمد منصور: الشعر و التصوف: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر.
- أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب القاهرة ، مصر ،2008
- أحمد يوسف داود ، أوراق مشاكسة ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2001
- أدونيس (علي أحمد سعيد) ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 2005
- أدونيس (علي أحمد سعيد) ، ديوان أغاني مهيار الدمشقي
- أدونيس : الثابت و المتحول (بحث في الإتباع و الإبداع عند العرب) ، صـــدمة الحداثة ، ج3 دار العودة ، بيروت ،د ط ،د ت
- أدونيس : الثابت و المتحول في الإبداع و الإتباع عند العرب، ج4- صـــدمة الحداثة و ســـلطة الموروث الشعري : دار العودة ، بيروت-لبنان، ط4، 1983
- أدونيس : الصوفية و السوريالية ، باب الساقي ، بيروت ، ط1 ،1992

- أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ط2 ، 1978 ، ص27
- أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، بيانات من أجل ثقاة عربية جديدة
- أدونيس : موســـيقى الحوت الأزرق (الهويـة،الكتـابـة،العنف/ دار الآداب ، بيروت ، لبنـان ، ط1،2002
- أدونيس ، علي أحمد سعيد : ها انت ايها الوقت : سيرة ثقافية ، دار الادب ، بيروت ،1993
- أدونيس فاتحة لنهايات القرن، ط1، دار العودة بيروت، 1980
- أدونيس، الثابت و المتحول (صدمة الحداثة) دار العودة ، b4 ، بيروت
- أدونيس، الثابت و المتحول، ج1 ، دار العودة، بيروت، ط1 1988
- أدونيس، فاتحة لنهاية القرن، دار العودة، بيروت، ط1، 1980م
- أدونيس، كلام البدايات، دار الأدب، ط 1989
- أسمية درويش ، مسار التحولات قراءة في شعر ادونيس ، دار الداب ، بيروت ، دط ، دت
- اعتدال عثمان ، اضـاءة النص قرءة في الشـعر العربي الحديث ، دراسـات ادبية ، الهيئة المغربية العامة للكتاب ، ط2 ، 1998
- ألان تورين : نقد الحداثة ، أنور مغيث المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،مصر ط 1، 1997
- أمجد ريان، صـــلاح فضـــل) و شـــعرية العربية، دار قباء للطباعة و النشـــر و التوزيع، القاهرة، (د.ط) 2000م
- ايليا حاوي ، الرمزية والسريالية في الشعر العربي والغربي ، دار الثقافة ، لبنان ، ط2، 1983
- بروان بول ، تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليفى ، ومنير الترمي ، مطابع للنشر العلمي ، الرياض ، د ط ، 1997
- بواردي ، جاسبليوس حنا ، أدونيس و الهوية المصغرة نحو نص شعري ايديليو جي زيتونة 2005
- جاهن أوهن ، بنية اللغة الشـــعرية ، ترجمة ، محمد للوكل محمد العمري ، دار توبقال للنشـــر ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1986
- حبيب بو هرور : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس و نزار قباني
- حسـن مصـطفى و آخرون : عبد الله القدامى و الممارسـة النقدية و الثقافية، المؤسـسـة العربية للدراسات و النشر، بيروت–لبنان ط1، 2003،
- حوراني رامز : النقد الأدبي و منطلاته الفكرية في فلسفة انطون السعادة ، سيان –بيروت 1998

- خليدة سعيد ، دراسات في الادب العربي الحديث ، 1979
- الخليل ابن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ،تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر بيروت ،لبنان ، ط1.2003
- رجاء عيد ، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، منشاة المعارف الاسكندرية ، 1985
- رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث ، دراسة في المنجز النصي ، افريقيا الشعر ، بيروت ، 1998
- روبيرت كامبل : أعلام الأدب العربي المعاصر ، جامعة قديس يوسف ، بيروت ،1996
- س يدي لويس ، الصور الشعرية ، تر أحمد نصيف الجناني ، دار الرشد ، 1982
- سامح الرواشدة ، القناع في الشعر العربي الحديث ، مطبعة كنعان ، الاردن ، ط1 ، 1995 ،
- سامي سويدان : جسور الحداثة المعلقة، دار الاداب، بيروت، لبنان، ط 1، 1997
- سامي مهدي، أفق الحداثة، و حداثة النمط، دار الشؤون الثقافية العامية، بغداد 1983،
- صقر أبو فخر : حوار مع أدونيس الطفولة ، المنفى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، لبنان، ط1 ، 2000
- صلاح فضل ، أساليب الشعرية المعاصرة ، دار ضياء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دت ، 1998
- عبد الجليل مراشدة ، حركة التراث مجملة علامات مكناس ، المغرب، ع21 ن 2004
- عبد الحميد جيدة : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ،مؤسسة نوفل ،بيروت ط1 1980
- عبد السلام شقور، أولويات الفكر الأدبي المغرب ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، وجدة المملكة المغربية ط 1 1988
- عبد العزيز شرف : طه حسين و زواج المجتمع التقليدي ، مجلة مستقبل الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د ط ، 1977
- عبد الكريم غلاب ، حوار مجلة آفاق مغربي ، العدد2، 1991
- عبد الله إبراهيم : الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة
- عبد الله الغمدامي ، الخطيئة والتفكير ، نادي جدة الادبي ، 1985

- عبد الله ونوس : بين الحداثة و التحديثية في قضايا و شهادات (عدد خاص بالحداثة) مؤسسة عيبال، الدار البيضاء سنة 1999 ع1
- عثمان أمين : ديكارت ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، مصر ، د ط ،1969
- عدنان حسين : الإبداع و مصادره الثقافية عند أدونيس ، الدار العربية للنشر و التوزيع مصر ط1 ، 1973
- عدنان علي رضا النحوي : الحداثة في منظور ايماني ، دار النحو للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية ط3 ، 1410هـ .1989 م
- فاضل تامر ، مدارات نقدية ، دار الشؤون الثقافية بغداد 1987
- فتحي التريكي ، و رشيدة التريكي : فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1992
- كولدرج النظرية الرومانسية للشعر، ترجمة، عبد الحليم حسان، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1971
- اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ـ ط1، 1997
- محمد برادة اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، ج1 1984ص6..
- محمد بنيس :حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر و الثقافة
- محمد حمود : الحداثة في الشعر العربي المعاصر بياناتها و مظاهرها، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان ط 1، 1986
- محمد سبيلا ، عبد السلام عبد العالي ، الحداثة ، دار توبقال ، المغرب ،ط1 1996
- محمد سيلا : الحداثة وما بعد الحداثة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 ، 2000،
- محمد عابد الجابري : الثوابت و الحداثة ، دراسات و مناقشات الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي بيروت ط1 ،1991
- محمد عابد الجابري ، التراث و مشكلة المنهج ، وشورات توبقال ، ط1 1986
- محمد عابد الجابري، نحن و التراث، منشورات المركز الثقافي العربي، ط 5

- محمد عبد المطلب : بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي ، دار المعارف- القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1995 ،
- محمد غانمي هلال : النقد الأدبي الحديث .دار العودة ، بيروت .لبنان(د ط1973)
- محمد كنوني اللغة الشعرية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط 1 ، 1997
- محمد لطفي اليوسفي ، في بنية السعر الحديث المعاصر ، دار سراس للنشر والتوزيع ، تونس 1985
- عبد الله أحمد المهنا: الحداثة و يعني العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة ،علم الفكر/م19/ع .1988/3 ،
- محمد محمود سير أحمد طه أعداء الحداثة ، مرجع سابق .ص17-18 مفكر و عالم وفيلسوف اجتماع معاصر عربي.
- محمود الغليثري : الاتجاهات الادبية و النقدية الحديثة دليل القارئ العام ، ميريت للنشر و المعلومات القاهرة ،ط2 2003
- مشري بن خليفة : الشعرية العربية مرجعياتها، و ابدالاتها النصية، وزارة الثقافة الجزائرية(د ط) 2007
- مطاع صفدي : نقد العقل الغربي للحداثة و ما بعد الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان، ط1 ، 1990
- مفاع صفدي :عصر الحداثة البعدية ، مقال في مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع66 /197 سنة1989
- نجيب الصوفي، مساءلة الحداثة، منشورات الشراع، ط 5، 1996، طنجة المغرب
- نجيب العوني ، ظواهر نصية الدار البيضاء،ط 1 ، 1992
- نسيمة درويش، مسار التحولات، قرأة في شعر أدونيس، دار الأدب بيروت، د.ط.د.ت،
- نوردين افاية : الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هير ماس ، افريقيا الشرق،ط2 ،1998
- هو محمد رجاء عبد المؤمن النقاش كاتب صحفي و ناقد مصري(41934-2008)

المذكرات والرسائل الجامعية

- سعودي البختاوي : الحداثة في مشروع العقاد النقدي من خلال تطبيقاته على شعر شوقي (مذكرة ماجيستر مسيلة ، الجزائر2002.

المجلات والمنشورات

- جودت فخر الدين : أدونيس : هاجس البحث و التأويل التعبير عن الحداثة شـــعرا و نثرا ،مجلة فصول مج 16 ، ع2 ،1997
- شـــاعر راثي (1955) يمارس النقد الأدبي و ترجمة الشـــعر و الفلســـفة و يعلم الأدب العربي و الأدب المقارن في المعهد الوطني للغات و الحضارات الشرقية (اينالكو) بباريس
- طيب تيزيني : الإطار النظري و المفاهيمي ، من ندوة الحداثة وما بعد الحداثة بمشـــاركة ....لمفكر العرب ، منشورات جامعة فيلاديليفيا ، الأردن ط1، 2000 .
- مجلة عالم الفكر : الحداثة و التحديث في الشـــعر، المجلد 19 ، العدد3(أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر) وزارة الإعلام، الكويت 1988م: ص 27.(بتصرف). و ينظر مجلة الرافد، دائرة الثقافة و الإعلام، الشارقة، العدد 157،(رمضان 1431/ سبتمبر 2010/

المواقع الالكترونية :

http//aljsad.org /show thread php ? p7876

http//www.arabe icstory.net/forim/index.phpshowtopic ;10932

الملاحق

الملاحق

ملحق " أ " : أهم الأعمال الشعرية لأدونيس :

- قصائد أولى 1957.
- أوراق في الريح 1958
- أغاني مهيار الدمشقي 1961
- كتاب التحولات و الهجرة في أقاليم النهار و الليل 1965
- المسرح و المرايا 1968
- وقت بين الرماد و الورد 1970
- هذا هو أسمي 1971
- مفرد بصيغة الجمع 1975
- كتاب القصائد الخمس 1979
- المطابقات و الأوائل 1980
- كتاب الحصار 1985
- شهوة تتقدم في خرائط المادة 1987
- احتفاء بالأشياء الواضحة الغامضة 1988
- أبجدية ثانية 1994
- الكتاب الأول: أمس ، المكان ،الآن ، 1995
- الكتاب الثاني : أمس ، المكان ،الآن ، 1998
- الكتاب الثالث : أمس ، المكان ،الآن ، 2002

- فهرس الأعمال الريح ، 1998
- تنبأ أيها الأعمى ،2003أول الجسد آخر البحر 2003
- تاريخ يتمزق في جسد امرأة 2007
- وراق يبيع كتب النجوم 2008
- الكتاب الخطاب الحجاب ،2009

ملحق "ب" : أهم الأعمال النشرية لأدونيس :

- مقدمة الشعر العربي ، 1971
- زمن الشعر ،1972
- فاتحة لنهايات القرن ،1980
- الثابت و المتحول ،بحث في الإتباع و الإبداع عند العرب (أبرهة أجزاء)1974
- سياسة الشعر ،1985
- الشعرية العربية ،1985
- كلام البدايات ،1989
- الصوفية و السريالية ،1992
- ها أنت أيها الوقت ،1993
- النظام و الكلام ،1993
- النص القرآني و أفاق الكتابة ،1993
- موسيقى الحوت الأزرق ،2002
- المحيط الأسود ،2005
- كوتشيرتو القدس ،2010

ملحق "ج" : أهم الجوائز التي حصل عليها أدونيس :

- جائزة الشعر السوري اللبناني ، منتدى الشعر الدولي بيتسبورغ ، الولايات المتحدة 1971
- جائزة مارليو للادب الأجنبية ، فرنسا 1993
- جائزة فيرونيا سيتادي فيامو روما ، ايطاليا 1994
- جائزة ناظم حكمة ، اسطنبول 1995
- جائزة البحر المتوسط للأدب الأجنبي ، فرنسا
- جائزة المنتدى الثقافي اللبناني ، فرنسا 1997
- جائزة نونيو الشعر ، ايطاليا 1998
- جائزة ليرسي بيا ، ايطاليا 2000
- جائزة و غوته ، فرانكفورت ،2011
- جائزة كوماراناستان العالمية لشعر ،كيرالا ، الهند 2015

فهرس المحتويات

كلمة شكر

الاهداء

مقدمة :.....أ

المدخل : الرؤية الغربية والرؤية العربية للحداثة 5

I). الحداثة الغربية..... 5

1-إشكالية المفهوم : 5

2-فكرة مشروع الحداثة: 7

3- تداخل المصطلح: 8

II).الحداثة عند العرب: 9

III).جدال الحداثة في نقد الشعر العربي: 11

الفصل الأول : ماهية الحداثة 14

I). الحداثة المصطلح و المفهوم :..... 15

1- مفهوم الحداثة : 15

2- نشأة الحداثة : 18

II). رواد الحداثة : 24

1-رواد الحداثة عند الغرب : 24

2- رواد الحداثة عند العرب : 26

III). مبادئ الحداثة :..... 29

1-العقلانية : rationalité..... 30

2-الذاتية: la subjectivité..... 31

3- الحرية la liberté 32
IV) مستويات الحداثة :..... 33
1- الحداثة العلمية : 33
2- حداثة التغيرات الثورية : 33
3- الحداثة الفنية :..... 34
الفصل الثاني: المفاهيم النقدية للحداثة لدى أدونيس 38
I) مفهوم الحداثة عند أدونيس : 38
П) مفهوم الشعر عند أدونيس :..... 51
III).أوهام الحداثة:..... 64
الفصل الثالث: دراسة تحليلية لأهم أعمال أدونيس..... 68
I).نبذة عن حياة أدونيس : 68
II).توجهات أدونيس النقدية: 74
III).موقف أدونيس في النقد و النقاد:..... 76
III).دراسة تحليلية لقصيدة الرؤيا النموذجية : 81
V).ماهية الرؤيا : 85
الخاتمة: 103
قائمة المصادر والمراجع 107
الملاحق 114
فهرس المحتويات..... 119